بسم الله الرحمن الرحيم

عِيسَى ٱلْمَسِيحُ وَٱلْحَقِيقَةُ
وَأُمُّهُ مَرْيَمُ ٱلصِّدِّيقَةُ

البيت المقدس الأشرف

صدر للكاتب الإسلامي عدنان توفيق ياسين

١. أحكام الصيام في دين الإسلام
٢. كشف الخفاء بنور الأسماء
٣. سلم الأحكام في زكاة الإسلام
٤. قاموس التشريع بالنهج البديع
٥. قصص وجزع ومدح بالسجع
٦. تعامل الأحياء مع قبور الأنبياء
٧. الاستشعار بفاتحة الكتاب ونعيم الجنة وجحيم العذاب
٨. أدعية الأنبياء والصديقين وآل البيت والصالحين
٩. عيسى المسيح والحقيقة وأمه مريم الصديقة
١٠. المنقذ من الضلال في تنزيه الرب ذي الجلال
١١. بطولات أهل البيت العظام وعاشوراء الحسين الإمام
١٢. السعادات النورانية في الصلاة على خير البرية ﷺ
١٣. حكم السنة والآيات في الزواج من الكتابيات
١٤. الأمداد النورانية وما فيها من أحكام شرعية
١٥. قاموس التصوف الحديث في شرح كل حال نفيس
١٦. المتعة في الإسلام وما فيها من أحكام
١٧. أحوال القيامة وعرض الحساب وذكر النار والجنة والعذاب
١٨. مسائل من الأوائل
١٩. شرح حال الشيخ عثمان وكرامات خلفائه وأولياء الرحمن
٢٠. الملائكة والجن والشياطين وما قيل عنهم في الدين
٢١. أصول الفقه الإسلامي وقواعده التشريعية
٢٢. ما ورد عن عائشة الصديقة وكشف الإفك والحقيقة
٢٣. قصص الأنبياء والأخبار من آدم إلى النبي المختار ﷺ
٢٤. الرد الصريح على ما قاله شنودا من تجريح

عِيسَى الْمَسِيحُ وَالْحَقِيقَةُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ الصِّدِّيقَةُ

عَقِيدَةٌ وَتَوْحِيدٌ

إهداء الكتاب

أُهدي هذا الكتاب النوراني إلى جميع حضرات الأنبياء والمرسلين عليهم السلام

وخصوصاً إلى سيدي وحبيب قلبي، وقرة عين الأولياء، حضرة النبي الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم، ومن جنابه الشريف الأنور إلى الذي ملأت قصة حياته قلبي حباً وشغفاً شديداً به، فارتسم اسمه الشريف في مجرى عروق ذهني، واستضاء به فكري، فأفرغ في نفسي دروساً عظيمة في الصبر المرير من خلال تحمله لمشاق الصعبة المؤلمة التي تكبدها أثناء قيامه بواجب تبليغ الدعوة. فلقد كان سيدي عيسى المسيح عليه السلام رمزاً وشعاراً للتقشف، ومدرسة عظيمة لتعليم الأدب والإيمان، وبحراً في علم الأسرار، ودفع الأخطار، بإذن ربه العزيز الغفار، ونوراً لنشر علوم التوحيد والتنزيه، إذ كانت تعاليمه البهية تضيء لكل معتقد طريقاً من نور، وتفتح له نوافذ العبور إلى شاطئ النجاة من الشرك والضلال والغرور. وكانت مواعظه منقوشة في جريدة الصدور، يستحضرها كل من كان يرجو لقاء ربه طائعاً لمولاه، مطمئناً لعقباه، لما هو عليه من التنزيه والتوحيد والثبات.

كما أتشرف وأسعد بإهدائه إلى سيدتي الطاهرة الشريفة مريم الصديقة، التي كان لها الدور الأساسي في بث نورها الفياض في كل ثناياه. وأهديه أيضاً إلى من زودني بعلمه النوراني وفنه العرفاني وإرشاده الروحاني، أستاذ العارفين، حضرة الشيخ عثمان سراج الدين رضي الله عنه، وإلى جميع علماء المسلمين، وأئمة الدين الذين أضنوا أرواحهم لكشف علوم مولاهم، وإلى كل من اتبع حضرة عيسى عليه السلام اتباعاً سليماً، سالماً من الكفر والإشراك.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عدنان ياسين

رأي في الكتاب لصاحب الأدب الرفيع
فضيلة الشيخ أحمد الزين، قاضي صيدا والجنوب

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام على سيّد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين. أمّا بعد،

فإنّ حناجر أهل التوحيد ما زالت تدوّي في كلّ ساحة وتملأ كلّ وادٍ، فترعب بصدقها ونورها أعداء الله ورسله، فيتبع صداها النوراني كلّ سعيد اختار الإيمان، ويعرض عنها كلّ شقيّ انحرف إلى الخسران والخذلان.

ولقد تكاثر في هذا العصر المضلّون وانتشرت خدعهم في كلّ مكان تؤازرهم في ضلالهم، حتّى تجاوزوا عدد العقارب والذّباب، ولا رادع يردع، ولا مانع يمنع. وقد استفحل أمر هؤلاء في المجتمع ونشروا سمومهم القاتلة، وانبرى كلّ واحد منهم يتفنّن على هواه بابتداع المبادئ الفاشلة والنظريات الباطلة، زيّنها ببوارق لمّاعة مناسبة لميول شهوات النفس القابلة لامتصاص الضلالات المشوّشة للعقائد والأفكار، والتي تؤدّي بمعتنقها إلى الهلاك الأكبر.

لقد انصبّ اهتمام هؤلاء المنحرفين والمنجرفين بتيارات إبليس اللعين على التلاعب بالعقائد وصبغها بألوان الحيل الشنيعة، متظاهرين بالالتزام بمذهب معيّن، ثمّ لفّقوا أحكامًا ضالّة ومبادئ مضلّة ما أنزل الله بها من سلطان، لا في التوراة المبارك، ولا في الإنجيل الكريم، ولا في القرآن العظيم. فهذه وأمثالها

أدّت إلى تحريف قصّة مولانا حضرة عيسى عليه السلام، مما فتح على الناس عواصف التشكيك برسول الله عيسى ابن مريم عليه السلام، فتشعّبت الآراء، وانحرف كثيرون عن جادّة الحقّ والصواب، وأطبق الجهل على الصدور، وانتشرت بين هؤلاء الشرور، فما كان من الأخ الكاتب الإسلاميّ "عدنان ياسين"، الغيور على دين الله، إلّا أن شمّر عن ساق الجدّ والجهد، وبدأ يقلع بقلمه جذور الباطل المغروس في تراب الفساد والضلال، ويقوّم ما اعوجّ وشرد من قصّته العظيمة الشريفة، معتمدًا في ذلك على موازين الشريعة ومكاييل الحقّ المستندة على أقوال لا يرقى إليها الطعن والتحريف، وذلك ليبرز لمحبّي حضرة عيسى عليه السلام الحقيقة صافية من الافتراء والدجل والخطإ والزلل.

وقد أصاب بقوس قلمه الهدف المطلوب، إذ نشر كنوز هذه القصّة العظيمة، ولوّنها بمراهم مسك كلام الله، وزعفران المواعظ، ليصحو من سكرتهم المهلكة من أصيبوا بجرثومة عدوى الباطل القاتلة، وليحذّر المصابين بلفحات هواء الضلال الساخن، لكي يلتفتوا ويعوا المخطس الخانق الذي وقعوا فيه، فيلتحقوا بقطار التوبة والأجر والثواب قبل الفوات، حيث لا ينفع بعدها ندم ولا بكاء.

فالناس اليوم أمسوا بأشدّ الحاجة إلى من يزيل لهم الحجاب عن الحقّ الذي استهمت

ٱلْيَهُودُ فِي إِخْفَاءِ مَعَالِمِهِ بِشَتَّى أَسَالِيبِ ٱلْمَكْرِ وَٱلدَّهَاءِ.
وَقَدْ يَسَّرَ ٱللَّهُ تَعَالَى لِأَخِينَا ٱلْكَرِيمِ "ٱلْحَاجِّ عَدْنَان
يَاسِين"، أَنْ يُظْهِرَ هَذَا ٱلْكِتَابَ ٱلْقَيِّمَ، فَجَمَعَهُ
وَرَتَّبَهُ بَعْدَ لَيَالٍ طَوِيلَةٍ مِنَ ٱلسَّهَرِ ٱلْمُضْنِي،
وَقَدْ تَفَنَّنَ بِإِخْرَاجِهِ لِيُسَهِّلَ عَلَى ٱلنَّاسِ فَهْمَهُ
وَإِدْرَاكَ مَعَانِيهِ بِطَرِيقَةٍ بَسِيطَةٍ بَعِيدَةٍ عَنِ
ٱلتَّعْقِيدِ، خَالِيَةٍ مِنَ ٱلتَّشْكِيكِ، وَقَدْ سَمَّاهُ:
"عِيسَى ٱلْمَسِيحُ وَٱلْحَقِيقَةُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ ٱلصِّدِّيقَةُ".
فَنَرْجُو لِمَنْ قَرَأَهُ أَنْ يَهْتَدِيَ بِنُورِ ٱلْآيَاتِ، وَيَتَّبِعَ
مَا فِيهِ مِنَ ٱلْمَوَاعِظِ وَٱلْإِرْشَادَاتِ، لِيَفُوزَ بِٱلسَّعَادَةِ
ٱلْأَبَدِيَّةِ وَٱلْمَعْنَوِيَّاتِ ٱلْقُدْسِيَّةِ، وَيَأْمَنَ مِنَ
ٱلْخُلُودِ فِي لَهَبِ نِيرَانِ ٱلسَّعِيرِ. فَنَشْكُرُهُ
عَلَى مَا بَذَلَ مِنْ جُهْدٍ شَاقٍّ مُتْعِبٍ، وَمَا
حَقَّقَ مِنْ عَمَلٍ طَيِّبٍ، فَكَانَ بِذَلِكَ خَادِمًا
أَمِينًا لِمَنْ أَرَادَ ٱلِٱلْتِحَاقَ بِرَكْبِ أَحْبَابِ حَضْرَةِ مُوسَى
وَعِيسَى وَمُحَمَّدٍ عليهم الصلاة والسلام، زَادَهُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مِنْ فَيْضِهِ
وَعَطَائِهِ لِيُتْحِفَنَا دَائِمًا بِأَعْمَالِهِ ٱلطَّيِّبَةِ ٱلْخَطِرَةِ
ٱلَّتِي لَا يَسْتَطِيعُ إِظْهَارَهَا لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا مَنْ نَوَّرَ ٱللَّهُ
قَلْبَهُ بِحُبِّهِ وَخَشْيَتِهِ وَذِكْرِهِ، وَٱللَّهُ هُوَ
ٱلْمُوَفِّقُ، وَهُوَ يَهْدِي إِلَى سَوَاءِ ٱلسَّبِيلِ،
وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ،
وَصَلَّى ٱللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ
وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

الشيخ أحمد الزين

تمهيد

الْقَصْدُ مِنْ نَشْرِ هٰذِهِ الرِّسَالَةِ تَوْعِيَةُ مَنْ أَرَادَ اتِّبَاعَ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الاتِّبَاعَ السَّلِيمَ، وَتَوْضِيحُ طَرِيقِهِ الْحَقِّ لِيَسْلُكُوهُ بِكُلِّ شَجَاعَةٍ حَتَّىٰ لَا يَنْزَلِقُوا فِي الْمَتَاهَاتِ الْمُضِلَّةِ الْمُؤَدِّيَةِ بِهِمْ إِلَى الْخُلُودِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ؛ لِأَنَّهُمْ جَعَلُوا أَنْفُسَهُمْ أُلْعُوبَةً فِي يَدِ الشَّيْطَانِ، وَأَعْرَضُوا عَنْ نِدَاءِ الرَّحْمٰنِ، النِّدَاءِ الْحَقِّ الَّذِي أَرْسَلَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِهِ الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُرْسَلِينَ لِإِنْقَاذِ النَّاسِ مِنَ الشِّرْكِ وَالْإِلْحَادِ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِمَّا يَضُرُّهُمْ وَيُكَدِّرُ عَيْشَهُمْ وَحَيَاتَهُمْ، رُوحًا وَجَسَدًا. وَلَمْ يَكُنْ فِي دَعْوَتِهِمْ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الْحَثُّ عَلَىٰ نَبْذِ مَحَاسِنِ الْأَخْلَاقِ، وَعَدَمِ تَحَمُّلِ مَسْؤُولِيَّةِ أَعْمَالِهِمْ. فَعَلَيْهِمْ أَنْ يُبَادِرُوا إِلَى الْعِبَادَةِ الْحَقَّةِ وَالتَّوْحِيدِ الْأَسْمَىٰ، وَلَا يُفْرِطُوا بِمَحَبَّةِ الْمَخْلُوقِينَ بِطَرِيقَةِ الْجَهْلِ وَالْعَصَبِيَّةِ دُونَ عِلْمٍ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، فَتَتَأَجَّجُ فِيهِمْ نِيرَانُ التَّعَصُّبِ وَيَغْلِي فِيهِمُ الِانْحِرَافُ عَنْ كُلِّ مَا لَا يُرْضِي اللَّهَ تَعَالَىٰ، وَيُوصِلُهُمْ ذٰلِكَ إِلَىٰ مَنَازِلِ الْمَقْتِ، وَيُبْعِدُهُمْ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، فَيَقَعُونَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَيْثُ يُنْصَبُّ عَلَيْهِمُ الْغَضَبُ وَاللَّعَنَاتُ وَيَذُوقُونَ الْعَذَابَ الْمُهِينَ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا. فَلْيُحِبُّوا حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبًّا بِدُونِ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالَىٰ، وَلْيَنْسُبُوا لَهُ الْمَقَامَ الَّذِي أَرَادَهُ اللَّهُ لَهُ، فَيَكُونُوا بِذٰلِكَ مِنَ النَّاجِينَ الْفَالِحِينَ يَوْمَ لِقَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَيُرْضُونَ بِذٰلِكَ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي بُعِثَ نَبِيًّا وَرَسُولًا مِنَ الْمُرْسَلِينَ. وَلْيَعْلَمُوا أَنَّ مَنْ تَرَكَ شَيْئًا لِلَّهِ تَعَالَىٰ عَوَّضَهُ اللَّهُ لَهُ خَيْرًا مِنْهُ، فَمَنْ تَرَكَ الضَّلَالَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، عَوَّضَهُ اللَّهُ عَنْهُ إِيمَانًا وَرِضًا وَقُرْبًا وَنَجَاةً يَوْمَ الْعَرْضِ الْعَظِيمِ، وَأُلْبِسَهُ نَعِيمًا يَفُوقُ مَلَذَّاتِ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا مِنْ شَهَوَاتٍ. هٰذَا وَإِنَّنَا نُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّنَا لَسْنَا مِنَ الَّذِينَ

يُريدُونَ بعَمَلِهِمْ هٰذَا إثارَةَ النَّعَراتِ الطَّائِفِيَّةِ وَالبَلْبَلاتِ المَذْهَبِيَّةِ لٰكِنْ يَجِبُ عَلَيْنَا أنْ نَكْشِفَ الحَقائِقَ لِلْخَلائِقِ خَوْفًا مِنَ المَلامَةِ يَوْمَ التَّلاقِي ، فَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِمَا قَالَهُ اللّٰهُ تَعالَىٰ عَنْ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَهُوَ مِنَ الَّذِينَ حُرِمُوا مِنْ نُورِ الإيمَانِ ، وَشُعَاعِ السَّعَادَةِ وَالأَمَانِ ، فَيَكُونُونَ بِذٰلِكَ قَدْ جَعَلُوا لأَنْفُسِهِمْ حِجَابًا غَلِيظًا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَفْئِدَتِهِمْ ، فَلا يَتَأَثَّرُونَ بِالكَلامِ الطَّيِّبِ وَلا يَتَقَبَّلُونَ شَيْئًا مِنَ النَّصائِحِ ، فَيَزْدَادُونَ كُفْرًا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ ، وَضَلالاً عَلَىٰ ضَلالِهِمْ ، وَذٰلِكَ كُلُّهُ بِسَبَبِ عِنادِهِمْ وَإِصْرارِهِمْ عَلَىٰ البَقاءِ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيْهِ ، قَالَ اللّٰهُ تَعالَىٰ :

(إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) آل عمران ١٧٧

اللّٰهُمَّ يَا ذَا العِزَّةِ وَالجَبَرُوتِ ، يَا بَارِئَ المَلَكِ وَالمَلَكُوتِ ، يَا مَنْ أَمَّنْتَ يُونُسَ فِي قَلْبِ الحُوتِ ، وَنَجَّيْتَ مُوسَىٰ فِي التَّابُوتِ ، وَحَفِظْتَ الحَبِيبَ مُحَمَّدًا بِنَسِيجِ العَنْكَبُوتِ ، سُبْحَانَكَ ، سُبْحَانَكَ أَنْتَ الحَيُّ الَّذِي لا يَمُوتُ اجْعَلْنِي ، يَا اللّٰهُ مِمَّنْ يُحِبُّونَ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ حُبًّا صَحِيحًا سَلِيمًا مِنَ الإِشْرَاكِ ، لِيَنْشَرِحَ بِذٰلِكَ الحُبِّ صَدْرِي ، وَيَتَنَوَّرَ بِهِ قَلْبِي ، وَيُضِيءَ بِهِ قَبْرِي ، وَيُكْشَفَ بِنُورِهِ كَرْبِي ، وَتَأْنَسَ بِهِ رُوحِي لِتَنْجَلِيَ بِفَيْضِهِ بَصِيرَتِي ، وَتَتَرَقَّىٰ بِشَذَاهُ مَقَامَاتِي ، وَتَتَحَلَّىٰ بِهِ أَخْلاقِي ، وَتَزْدَادَ إِلَيْكَ أَشْوَاقِي وَيَقِينِي ، وَيَزُولَ بِبَرَكَتِهِ حُزْنِي ، وَاجْعَلْ مَحَبَّتَهُ مَغْرُوسَةً فِي كُلِّ جَوَانِبِي ، لا تُفَارِقُ أَفْكَارِي ، وَيَسِّرْ لِي بِهَا كُلَّ أُمُورِي .

عِيسَى ٱلْمَسِيحُ وَٱلْحَقِيقَةُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ ٱلصِّدِّيقَةُ

لَقَدِ ٱشْتَبَهَ عَلَى بَعْضِ نَاقِصِي ٱلْعَقْلِ قِصَّةُ حَضْرَةِ ٱلسَّيِّدَةِ ٱلطَّاهِرَةِ، مَرْيَمَ ٱلصِّدِّيقَةِ، وَحَضْرَةِ ٱلسَّيِّدِ عِيسَى عليه السلام. فَمِنْهُمْ مَنْ تَعَصَّبَ بِدُونِ عِلْمٍ وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ، وَأَفْرَطَ بِحُبِّهِ لَهُمَا خِلَافَ شَرِيعَةِ ٱللَّهِ تَعَالَى، فَجَعَلَ حَضْرَةَ عِيسَى عليه السلام فِي مَقَامِ ٱلْأُلُوهِيَّةِ وَالرُّبُوبِيَّةِ، فَجَعَلَهُ ٱبْنَ ٱللَّهِ، مُتَوَارِثًا ذَلِكَ ٱلْاِعْتِقَادَ مِنْ آبَائِهِ وَأَجْدَادِهِ. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ إِنَّهُ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ: ٱلْأَبُ وَٱلْاِبْنُ وَالرُّوحُ ٱلْقُدُسُ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَفْرَطَ بِكُرْهِهِ وَحِقْدِهِ وَحَسَدِهِ لَهُمَا فَجَعَلَهُ ٱبْنَ زِنًا. وَقَالَ: إِنَّهُ ٱبْنُ يُوسُفَ ٱلنَّجَّارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ ٱلْاِعْتِقَادَاتِ ٱلْفَاسِدَةِ.

وَمِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُفْجِعَةِ ٱلَّتِي نَسْمَعُهَا ٱلْيَوْمَ مِمَّنْ يَدَّعِي ٱتِّبَاعَ ٱلْإِسْلَامِ شَتْمُ حَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام، وَذَلِكَ حَتَّى يَغِيظَ خَصْمَهُ، وَالْعِيَاذُ بِٱللَّهِ وَٱلْأَدْهَى مِنْ ذَلِكَ أَنَّ ٱلْآخَرَ يُجِيبُهُ بِشَتْمِ خَاتَمِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ صلى الله عليه وسلم، ظَانًّا أَنَّهُ قَدِ ٱسْتَرَدَّ حَقَّهُ، وَحَفِظَ بِذَلِكَ حَقَّ حَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام، وَكَأَنَّ حَضْرَةَ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم جَاءَ لِفِرْقَةٍ دُونَ أُخْرَى، وَٱللَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ - الأنبياء: ١٠٧ -. فَلَا يَظُنُّ أَمْثَالُ هَؤُلَاءِ أَنَّهُمْ أَقْدَمُوا عَلَى فِعْلَةٍ مُشَرِّفَةٍ، بَلْ غَاصُوا بِذَلِكَ فِي دَهَالِيزَ لَوَّثَتْ قُلُوبَهُمْ، وَشَوَّهَتْ نُفُوسَهُمْ، وَسَوَّدَتْ وُجُوهَهُمْ، وَغَطَسَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ فِي أَعْمَاقِ ٱلضَّلَالِ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرِي، وَأَصْبَحَ فِي عِدَادِ ٱلْهَالِكِينَ فِي جَهَنَّمَ إِنْ لَمْ يَتُبْ مِنْ فِعْلَتِهِ وَيَلْفِظِ ٱلشَّهَادَتَيْنِ.

وَمِنْ شِدَّةِ حُبِّنَا لِحَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام وَأُمِّهِ ٱلصِّدِّيقَةِ، أَحْبَبْنَا أَنْ نَذْكُرَ مَا وَرَدَ فِي حَقِّهِمَا عَلَى ٱلْوَجْهِ ٱلصَّحِيحِ، حَتَّى يَكُونَ ٱلنَّاسُ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ أَمْرِهِمَا، مُعْتَمِدِينَ فِي ذَلِكَ عَلَى مَا جَاءَ بِالْقُرْآنِ ٱلْكَرِيمِ ٱلَّذِي لَا يَأْتِيهِ ٱلْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، مُسْتَشْهِدِينَ

بالأحاديث الصحيحة التي رواها كابرٌ عن كابرٍ من علمائنا الثقات العدول عن سيد الخلق وحبيب الحق، سيدنا محمد ﷺ، ناقلين عن كتب التفسير الجليلة المعتمدة لدى جمهور العلماء من المسلمين. عسى أن يفتح الله بهذه الكلمات آذانًا صمًا وقلوبًا غلفا. قال تعالى: **(مَّنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا)** - الإسراء ١٥ - . وأما من تعصب على ظلام فهو أعمى القلب والروح، وتعصبه سيكون له ظلمات يوم القيامة، لأن الحق ظاهر كنور الشمس.

نسب حضرة مريم عليها السلام

يرجع نسب حضرة مريم عليها السلام إلى حضرة داود عليه السلام. روي أنها لما كانت جنينا، نذرت أمها على أن يكون ما في بطنها محررا لخدمة بيت المقدس. ولم يكونوا يحررون لخدمته إلا الذكور، لكن لما وضعتها أنثى، قالت معتذرة: رب إني وضعتها أنثى. فتقبلها ربها بقبول حسن، لما أراد من إكرامها. قال تعالى: **(فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ۝ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا)** - آل عمران ٣٦، ٣٧ - ، فحملتها حتى دخلت بيت المقدس المبارك، وحضرة زكريا عليه السلام هناك في نفر (أي جماعة) من عباد بني إسرائيل، فقال لها: ما هذه يا حنة (والدة مريم) قالت: هذه ابنتي مريم قد جعلتها محررة، وقد قبلها الله مني فاقبلوها ولا تردوها.

فأخذها حضرة زكريا عليه السلام واسترضع لها بعض نساء بني إسرائيل،

وَبَنَىٰ لَهَا حَضْرَةُ زَكَرِيَّا عليه السلام بَيْتًا لَا يُصْعَدُ إِلَيْهِ إِلَّا بِسُلَّمٍ. وَكَانَ لَا يَصْعَدُ إِلَيْهَا إِلَّا حَضْرَةُ زَكَرِيَّا عليه السلام لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا الطَّعَامَ. فَنَشَأَتْ حَضْرَةُ مَرْيَمَ عليها السلام عَلَىٰ عِبَادَةِ ٱللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ حَتَّىٰ تَفَوَّقَتْ عَلَىٰ عَابِدَاتِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَحَضْرَةُ زَكَرِيَّا عليه السلام هُوَ زَوْجُ خَالَةِ حَضْرَةِ مَرْيَمَ عليها السلام.

مَرْيَمُ ٱلصِّدِّيقَةُ وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ حَمْلِهَا

حَكَىٰ ٱلثَّعْلَبِيُّ فِي قِصَّةِ حَمْلِ حَضْرَةِ مَرْيَمَ عليها السلام أَنَّهُ كَانَ مَعَهَا فِي ٱلْمَسْجِدِ ٱبْنُ عَمٍّ لَهَا مِنَ ٱلْمُحَرَّرِينَ يُقَالُ لَهُ: يُوسُفُ بْنُ يَعْقُوبَ ٱلنَّجَّارُ، وَكَانَ رَجُلًا حَكِيمًا نَجَّارًا، يَتَصَدَّقُ بِعَمَلِ يَدَيْهِ. وَكَانَ يُوسُفُ وَمَرْيَمُ عليها السلام إِذَا نَفَذَ مَاؤُهُمَا أَخَذَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا قُلَّتَهُ (أي جَرَّتَهُ) وَٱنْطَلَقَ إِلَى ٱلْمَغَارَةِ ٱلَّتِي فِيهَا ٱلْمَاءُ، يَسْتَقِيَانِ مِنْهُ ثُمَّ يَرْجِعَانِ. فَلَمَّا كَانَ ٱلْيَوْمُ ٱلَّذِي لَقِيَهَا فِيهِ حَضْرَةُ جِبْرِيلَ عليه السلام، وَكَانَ أَطْوَلَ وَأَشَدَّ يَوْمٍ حَرًّا فِي ٱلسَّنَةِ، نَفَذَ مَاؤُهَا، فَقَالَتْ: يَا يُوسُفُ، أَلَا تَذْهَبُ بِنَا نَسْتَقِي؟ فَقَالَ لَهَا: إِنَّ عِنْدِي لَفَضْلًا مِنْ مَاءٍ أَكْتَفِي بِهِ فِي يَوْمِي هَٰذَا إِلَى غَدٍ. قَالَتْ: لَكِنِّي وَٱللَّهِ مَا عِنْدِي مَاءٌ. فَأَخَذَتْ قُلَّتَهَا ثُمَّ ٱنْطَلَقَتْ وَحْدَهَا حَتَّىٰ دَخَلَتِ ٱلْمَغَارَةَ، فَوَجَدَتْ عِنْدَهَا حَضْرَةَ جِبْرِيلَ عليه السلام قَدْ مَثَّلَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ بَشَرًا سَوِيًّا؛ فَقَالَ لَهَا: يَا مَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَنِي إِلَيْكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا. قَالَتْ: إِنِّي أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝ فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝ قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ (١) ـ مريم ١٦/١٨ ـ . (١) تقيًّا: رجل مشهور بالشقاوة كان اسمه تقيًّا.

وَإِنَّمَا أَرْسَلَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ فِي صُورَةِ ٱلْبَشَرِ لِتَثْبُتَ حَضْرَةُ مَرْيَمَ عليها السلام وَتَقْدِرَ عَلَىٰ ٱسْتِمَاعِ كَلَامِهِ، وَلَوْ أَتَاهَا عَلَىٰ صُورَتِهِ ٱلَّتِي هُوَ عَلَيْهَا

لَفزِعَتْ وَنَفَرَتْ مِنْهُ، وَلَمْ تَقْدِرْ عَلَى الاسْتِمَاعِ لِكَلَامِهِ. فَلَمَّا اسْتَعَاذَتْ حَضْرَةُ مَرْيَمَ قَالَ: (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) - مريم ١٩ - فَلَمَّا قَالَ ذَلِكَ اسْتَسْلَمَتْ لِقَضَاءِ اللَّهِ تَعَالَى، فَنَفَخَ حَضْرَةُ جِبْرِيلَ عليه السلام فِي جَيْبِ دِرْعِهَا (قَمِيصِهَا)، فَحَمَلَتْ بِحَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام ثُمَّ مَلَأَتْ قُلَّتَهَا وَانْصَرَفَتْ إِلَى الْمَسْجِدِ. (نهاية الأرب ١٤/٤٠)

اَلْبُشْرَى طَيَّبَتْ نَفْسَ حَضْرَةِ مَرْيَمَ عليها السلام

لَمَّا تَبَيَّنَ حَمْلُهَا، دَاخَلَهَا الْغَمُّ، وَعَلِمَتْ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ سَوْفَ يَقْذِفُونَهَا فَنَادَتْهَا الْمَلَائِكَةُ: (يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ) أَيْ مِنَ الْحَيْضِ (وَاصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ • يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ) - آل عمران ٤٢/٣ -، وَبَشَّرَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِحَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام بِقَوْلِهِ تَعَالَى: (إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ • وَيُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ) - آل عمران ٤٥/٣ - ٤٦ - فَطَابَتْ نَفْسُهَا وَاطْمَأَنَّ قَلْبُهَا لِمَا سَمِعَتْهُ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى.

مَرْيَمُ الصِّدِّيقَةُ وَيُوسُفُ النَّجَّارُ

كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَنْكَرَ حَمْلَ حَضْرَةِ مَرْيَمَ عليها السلام يُوسُفُ النَّجَّارُ. فَلَمَّا رَأَى مَا بِهَا، اسْتَعْظَمَهُ وَقَطَعَ بِهِ، وَلَمْ يَدْرِ عَلَى مَاذَا يَضَعُ أَمْرَهَا. فَكَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَّهِمَهَا ذَكَرَ صَلَاحَهَا وَعِبَادَتَهَا وَبَرَاءَتَهَا، وَأَنَّهَا لَمْ تَغِبْ عَنْهُ، وَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُبَرِّئَهَا رَأَى الَّذِي ظَهَرَ بِهَا مِنَ الْحَمْلِ. فَلَمَّا اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ كَلَّمَهَا، فَكَانَ أَوَّلَ مَا كَلَّمَهَا بِهِ أَنْ قَالَ لَهَا: إِنَّهُ قَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي مِنْكِ وَمِنْ أَمْرِكِ شَيْءٌ، وَقَدْ حَرَصْتُ عَلَى أَنْ أَكْتُمَهُ فَغَلَبَنِي ذَلِكَ، وَرَأَيْتُ أَنَّ الْكَلَامَ فِيهِ أَشْفَى لِصَدْرِي. فَقَالَتْ:

قُلْ قَوْلاً جَمِيلاً . قَالَ: خَبِّرِينِي يَا مَرْيَمُ ، هَلْ يَنْبُتُ زَرْعٌ بِغَيْرِ بَذْرٍ؟ قَالَتْ: نَعَم . قَالَ: فَهَلْ تَنْبُتُ شَجَرَةٌ بِغَيْرِ غَيْثٍ (مَطَرٍ) يُصِيبُهَا؟ قَالَتْ: نَعَم . قَالَ: فَهَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ (رَجُلٍ) ؟ قَالَتْ: أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبَتَ الزَّرْعَ يَوْمَ خَلَقَهُ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ، وَالْبَذْرُ إِنَّمَا تَكُونُ مِنَ الزَّرْعِ الَّذِي كَانَ أَنْبَتَهُ مِنْ غَيْرِ بَذْرٍ؟ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَنْبَتَ الشَّجَرَ مِنْ غَيْرِ غَيْثٍ ، وَبِالْقَدَرِ جَعَلَ الْغَيْثَ حَيَاةَ الشَّجَرِ بَعْدَمَا خَلَقَ كُلَّ وَاحِدَةٍ عَلَى حِدَةٍ ، أَوَتَقُولُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى إِنْبَاتِهِ ؟ قَالَ يُوسُفُ لَهَا: لَا أَقُولُ هَذَا ، وَلَكِنِّي أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقْدِرُ عَلَى مَا يَشَاءُ ، يَقُولُ لِذَلِكَ : كُنْ فَيَكُونُ. فَقَالَتْ لَهُ مَرْيَمُ عَلَيْهَا السَّلَامُ: أَوَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ آدَمَ وَامْرَأَتَهُ حَوَّاءَ مِنْ غَيْرِ ذَكَرٍ وَلَا أُنْثَى ؟ قَالَ : بَلَى. فَلَمَّا قَالَتْ لَهُ ذَلِكَ وَقَعَ فِي نَفْسِهِ أَنَّ الَّذِي بِهَا شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ، وَأَنَّهُ لَا يَسَعُهُ أَنْ يَسْأَلَهَا عَنْهُ ، وَذَلِكَ لِمَا رَأَى مِنْ كِتْمَانِهَا . قَالَ الْكِسَائِيُّ : لَمَّا قَالَ يُوسُفُ لِمَرْيَمَ: هَلْ يَكُونُ وَلَدٌ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ ؟ قَالَتْ : نَعَم ، آدَمُ مِنْ غَيْرِ أَبٍ وَأُمٍّ . قَالَ : صَدَقْتِ . ثُمَّ قَالَ : هَذَا الْوَلَدُ الَّذِي فِي بَطْنِكِ مَنْ أَبُوهُ ؟ قَالَتْ : هَذَا هِبَةُ رَبِّي لِي ، وَمَثَلُهُ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ. فَنَطَقَ حَضْرَةُ عِيسَى فِي بَطْنِهَا وَقَالَ : يَا يُوسُفُ مَا هَذِهِ الْأَمْثَالُ الَّتِي تَضْرِبُهَا ؟ قُمْ فَاشْتَغِلْ بِصَلَاتِكَ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ مِمَّا قَدْ وَقَعَ فِي قَلْبِكَ . فَقَامَ يُوسُفُ وَجَاءَ إِلَى زَكَرِيَّا وَأَخْبَرَهُ ، فَاغْتَمَّ وَقَالَ لِامْرَأَتِهِ : إِنَّ مَرْيَمَ حَامِلٌ ، وَأَخَافُ مِنْ فُسَّاقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَتَّهِمُوا يُوسُفَ بِهَا . قَالَتْ : تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَاسْتَعِنْ بِهِ فَإِنَّهُ يَرُدُّ عَنْهَا مَقَالَةَ الْفُسَّاقِ . (نهاية الأرب ١٤) . قَالَ تَعَالَى فِي تَبْرِئَتِهَا: (وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) - التحريم ١٢ - . أَيْ : حَفِظَتْ

فَرْجَهَا وَصَانَتْهُ عَنْ مُقَارَفَةِ الفَوَاحِشِ وَالرَّذَائِلِ، فَهِيَ عَفِيفَةٌ شَرِيفَةٌ طَاهِرَةٌ، لَا كَمَا قَالَ اليَهُودُ: إِنَّهَا زَانِيَةٌ فَاجِرَةٌ، وَإِنَّ وَلَدَهَا عِيسَىٰ هُوَ ابْنُ زِنَا. فَنَفَخْنَا فِي جَيْبِ دِرْعِهَا مِنْ رُوحِنَا (أَيْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) وَآمَنَتْ بِعِيسَىٰ كَلِمَةِ اللَّهِ، وَبِالتَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، وَكَانَتْ مِنَ القَوْمِ المُطِيعِينَ لِلَّهِ تَعَالَىٰ. (مختصر تفسير الطبري ٢/٤٧).

وِلَادَةُ الصِّدِّيقَةِ لِحَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

تَوَلَّىٰ يُوسُفُ خِدْمَةَ المَسْجِدِ وَكَفَاهَا كُلَّ عَمَلٍ كَانَتْ تَعْمَلُهُ فِيهِ، لِمَا رَأَىٰ مِنْ رِقَّةِ جِسْمِهَا، وَاصْفِرَارِ لَوْنِهَا، وَكَلَفِ وَجْهِهَا (تَغَيُّرِ بَشَرَتِهِ) وَضَعْفِ قُوَّتِهَا. فَلَمَّا دَنَا وَقْتُ الوِلَادَةِ خَرَجَتْ حَضْرَةُ مَرْيَمَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ مِنْ مَنْزِلِهَا عَلَيْهَا السَّلَامُ حَتَّىٰ صَارَتْ إِلَىٰ خَارِجِ بَيْتِ المَقْدِسِ، فَذَٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: (**فَحَمَلَتْهُ فَانتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا**) ـ مريم ٢٢ ـ وَأَخَذَهَا الطَّلْقُ، فَنَظَرَتْ إِلَىٰ نَخْلَةٍ يَابِسَةٍ فَجَلَسَتْ تَحْتَهَا، فَاخْضَرَّتِ النَّخْلَةُ مِنْ سَاعَتِهَا وَصَارَ لَهَا سَعَفٌ (أَغْصَانُ النَّخْلِ) وَخُوصٌ (وَرَقُ النَّخْلِ) وَحَمَلَتِ الرُّطَبَ لِوَقْتِهَا، وَأَنْبَعَ اللَّهُ فِي أَصْلِ النَّخْلَةِ عَيْنًا مِنَ المَاءِ إِكْرَامًا لَهَا وَتَقْوِيَةً لِاعْتِقَادِهَا. قَالَ تَعَالَىٰ: (**فَأَجَآءَهَا المَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا**) ـ مريم ٢٣ ـ أَيْ: فَأَلْجَأَهَا أَلَمُ الوَضْعِ إِلَىٰ سَاقِ نَخْلَةٍ، فَقَالَتْ: يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا الكَرْبِ الَّذِي أَنَا فِيهِ، وَكُنْتُ شَيْئًا نَسِيَ فَتُرِكَ طَلَبُهُ (**فَنَادَىٰهَا مِن تَحْتِهَآ أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا**) ـ مريم ٢٤ ـ فَنَادَاهَا حَضْرَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْ لَا تَحْزَنِي قَدْ أَجْرَىٰ لَكِ رَبُّكِ تَحْتَكِ جَدْوَلًا. (مختصر تفسير الطبري ٢/٥٠). قِيلَ: كَانَ نَهْرًا مِنْ مَاءٍ عَذْبٍ، يَكُونُ بَارِدًا إِذَا شَرِبَتْ مِنْهُ، وَفَاتِرًا إِذَا اسْتَعْمَلَتْهُ، إِكْرَامًا لِجَنَابِهَا الشَّرِيفِ، (**وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ**

عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا • فَكُلِي وَٱشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ ٱلْيَوْمَ إِنسِيًّا) - مريم ٢٥، ٢٦ - أَيْ : وَحَرِّكِي جِذْعَ النَّخْلَةِ يَتَسَاقَطْ عَلَيْكِ مِنْهَا رُطَبٌ طَرِيٌّ ، فَكُلِي مِنَ الرُّطَبِ ، وَٱشْرَبِي مِنْ مَاءِ الْجَدْوَلِ ، وَطِيبِي نَفْسًا بِوِلَادَتِكِ . فَإِنْ رَأَيْتِ أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ يَسْأَلُكِ عَنْ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِكِ ، فَقُولِي : إِنِّي أَوْجَبْتُ عَلَى نَفْسِي لِلَّهِ صَمْتًا ، فَلَا أُكَلِّمُ أَحَدًا مِنْ بَنِي آدَمَ. (مختصر تفسير الطبري ٢/ ٥٠) .

فَلَمَّا جَاءَ يُوسُفُ النَّجَّارُ كَلَّمَهَا فَلَمْ تَتَكَلَّمْ ، فَتَكَلَّمَ حَضْرَةُ عِيسَى فِي حِجْرِهَا وَقَالَ : يَا يُوسُفُ ، أَبْشِرْ وَقَرَّ عَيْنًا وَطِبْ نَفْسًا ، فَقَدْ أَخْرَجَنِي رَبِّي مِنْ ظُلْمَةِ الْأَرْحَامِ إِلَى ضَوْءِ الدُّنْيَا ، وَسَآتِي بَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَدْعُوهُمْ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ. (نهاية الأرب) (حِجْرِهَا أَيْ حِضْنِهَا)

مُدَّةُ حَمْلِ السَّيِّدَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ

إِخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي مُدَّةِ حَمْلِ مَرْيَمَ عليها السلام بِحَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ بَعْضُهُمْ : كَانَ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ : ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ : سِتَّةَ أَشْهُرٍ ، وَقِيلَ : ثَلَاثَ سَاعَاتٍ . وَقَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما : مَا هُوَ إِلَّا أَنْ حَمَلَتْ فَوَضَعَتْ ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ الْحَمْلِ وَالِانْتِبَاذِ إِلَّا سَاعَةٌ وَاحِدَةٌ ، لِأَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَذْكُرْ بَيْنَهُمَا فَصْلًا (نهاية الأرب) .

مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ الشَّيَاطِينِ عِنْدَ وِلَادَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا وُلِدَ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ أَصْبَحَتِ الْأَصْنَامُ كُلُّهَا ، بِكُلِّ أَرْضٍ ، مَنْكُوسَةً (أَيْ مَقْلُوبَةً) عَلَى رُؤُوسِهَا ، فَفَزِعَتِ الشَّيَاطِينُ وَلَمْ يَدْرُوا لِمَ ذَٰلِكَ ؟ فَسَارُوا مُسْرِعِينَ حَتَّى جَاءُوا إِبْلِيسَ وَهُوَ عَلَى عَرْشٍ لَهُ فِي لُجَّةٍ خَضْرَاءَ (مَوْجَةٍ) يَتَمَثَّلُ بِالْعَرْشِ يَوْمَ كَانَ عَلَى الْمَاءِ ،

فَأَتَوْهُ وَقَدْ مَضَتْ سِتُّ سَاعَاتٍ مِنَ النَّهَارِ. فَلَمَّا رَأَى إِبْلِيسُ جَمَاعَتَهُ فَزِعَ مِنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يَرَهُمْ جَمِيعًا مُنْذُ فَرَّقَهُمْ قَبْلَ تِلْكَ السَّاعَةِ إِنَّمَا كَانَ يَرَاهُمْ أَشْتَاتًا. فَسَأَلَهُمْ فَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ حَدَثَ فِي الْأَرْضِ حَادِثٌ جَعَلَ الْأَصْنَامَ كُلَّهَا مَنْكُوسَةً عَلَى رُؤُوسِهَا، وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ أَعْوَنَ عَلَى هَلَاكِ بَنِي آدَمَ مِنْهَا، إِذْ كَانَتِ الشَّيَاطِينُ تَدْخُلُ فِي أَجْوَافِهَا فَتُكَلِّمُ النَّاسَ، فَيَظُنُّونَ أَنَّهَا هِيَ الَّتِي تُكَلِّمُهُمْ، فَلَمَّا أَصَابَهَا هَذَا الْحَادِثُ صَغَّرَهَا فِي أَعْيُنِ بَنِي آدَمَ وَأَذَلَّهَا، وَقَدْ خَشِينَا أَلَّا يَعْبُدُوهَا بَعْدَ هَذَا. وَاعْلَمْ أَنَّا لَمْ نَأْتِكَ حَتَّى أَحْصَيْنَا الْأَرْضَ وَقَلَّبْنَا الْبِحَارَ وَكُلَّ شَيْءٍ، فَلَمْ نَزْدَدْ بِمَا أَرَدْنَا إِلَّا جَهْلًا. فَقَالَ لَهُمْ إِبْلِيسُ: إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ عَظِيمٌ، فَكُونُوا عَلَى مَكَانِكُمْ. وَطَارَ إِبْلِيسُ عِنْدَ ذَلِكَ، وَغَابَ عَنْهُمْ ثَلَاثَ سَاعَاتٍ، فَمَرَّ بِالْمَكَانِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ حَضْرَةُ عِيسَى عليه السلام، فَلَمَّا رَأَى الْمَلَائِكَةَ مُحْدِقِينَ (مُحِيطِينَ) بِذَلِكَ الْمَكَانِ، عَلِمَ بِذَلِكَ الْحَادِثِ، فَأَرَادَ إِبْلِيسُ أَنْ يَأْتِيَ حَضْرَةَ عِيسَى عليه السلام مِنْ فَوْقِهِ، فَإِذَا فَوْقَهُ رُؤُوسُ الْمَلَائِكَةِ وَمَنَاكِبُهُمْ إِلَى السَّمَاءِ. ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْ تَحْتِ الْأَرْضِ فَإِذَا أَقْدَامُ الْمَلَائِكَةِ رَاسِيَةٌ (أَيْ ثَابِتَةٌ)، فَأَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ بَيْنِهِمْ فَنَحَّوْهُ عَنْ ذَلِكَ. فَرَجَعَ إِبْلِيسُ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: مَا جِئْتُكُمْ حَتَّى أَحْصَيْتُ الْأَرْضَ كُلَّهَا، شَرْقَهَا وَغَرْبَهَا وَبَرَّهَا وَبَحْرَهَا وَالْخَافِقَيْنِ وَالْجَوَّ الْأَعْلَى، وَكُلُّ هَذَا بَلَغْتُهُ فِي ثَلَاثِ سَاعَاتٍ. وَأَخْبَرَهُمْ بِمَوْلِدِ حَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام وَقَالَ: مَا اشْتَمَلَتْ (أَيْ حَمَلَتْ) قَبْلَهُ أُمٌّ عَلَى وَلَدٍ إِلَّا بِعِلْمِي، وَلَا وَضَعَتْهُ قَطُّ إِلَّا وَأَنَا حَاضِرُهَا. وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أُضِلَّ بِهِ كَثِيرًا مِمَّنْ يَهْتَدِي، وَمَا كَانَ نَبِيٌّ قَبْلَهُ أَشَدَّ عَلَيَّ وَعَلَيْكُمْ مِنْ هَذَا الْمَوْلُودِ. وَذَلِكَ لِحِفْظِ الْإِلَهِيِّ لِحَضْرَةِ مَرْيَمَ وَعِيسَى عليهما السلام اسْتِجَابَةً لِدُعَاءِ أُمِّهَا (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ) ـ آل عمران ٣٦ ـ أَيْ: إِنِّي أُجِيرُهَا وَأُحَصِّنُهَا بِكَ يَا رَبِّ هِيَ وَأَوْلَادَهَا مِنْ شَرِّ

الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَٱسْتَجَابَ ٱللَّهُ دُعَاءَهَا، وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عَلَيْهَا سَبِيلاً. وَفِي الصَّحِيحِ عَنْ حَضْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلَّا يَمَسُّهُ الشَّيْطَانُ، فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ مَسَّةِ الشَّيْطَانِ، إِلَّا مَرْيَمَ وَٱبْنَهَا، وَٱقْرَأُوا إِنْ شِئْتُمْ (وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَانِ ٱلرَّجِيمِ)» -آل عمران ٣٦- (مختصر تفسير الطبري ١/٤٠٦).

وَنَخْرُجُ مِنْ هَذِهِ القِصَّةِ بِإِشَارَةٍ لَطِيفَةٍ لَا بُدَّ مِنَ ٱلْٱنْتِبَاهِ إِلَيْهَا وَهِيَ: أَنَّ إِبْلِيسَ ٱللَّعِينَ قَدْ طَارَ فِي مَشَارِقِ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا وَقَطَعَ المَسَافَاتِ الشَّاسِعَةَ بِمُدَّةٍ وَجِيزَةٍ، وَهِيَ مِنَ ٱلْأَسْرَارِ ٱلَّتِي أَبْقَاهَا لَهُ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ٱسْتِدْرَاجًا لَهُ، فَإِذَا كَانَ هَذَا يُمْكِنُ أَنْ يَحْصُلَ لِمَخْلُوقٍ قَدْ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ، فَلَا يَسْتَبْعِدِ ٱلنَّاسُ وَلَا يَسْتَغْرِبُوا إِذَا سَمِعُوا أَنَّ رَجُلًا صَالِحًا يَطِيرُ بِٱلْهَوَاءِ، فَمِنْ بَابِ أَوْلَى إِكْرَامُ ٱلصَّالِحِينَ بِمِثْلِ هَذِهِ ٱلْأَسْرَارِ، قَالَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: (لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ) -الشورى ٢٢-، وَقَالَ تَعَالَى: (وَٱلَّذِي جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ • لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ) -الزمر ٣٣/٣٤-.

بَلْ قَدْ يَصِلُ أَحَدُهُمْ إِلَى مَا يَعْجَزُ عَنْهُ أَعْتَى المَرَدَةِ وَالشَّيَاطِينِ، وَلَنَا فِي قِصَّةِ سُلَيْمَانَ وَعَرْشِ بَلْقِيسَ الوَارِدَةِ فِي كِتَابِ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ خَيْرُ شَاهِدٍ عَلَى مَا نَقُولُ.

رُجُوعُ مَرْيَمَ بِعِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى قَوْمِهَا

قَالَ تَعَالَى: (فَأَتَتْ بِهِۦ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُۥ) -مريم ٢٧- أَيْ: فَجَاءَتْهُمْ مَعَ وَلَدِهَا عِيسَى حَامِلَةً لَهُ وَهُوَ ٱبْنُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا. رُوِيَ عَنِ ٱبْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما أَنَّ يُوسُفَ ٱنْتَهَى بِمَرْيَمَ إِلَى غَارٍ فَأَدْخَلَهَا فِيهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا حَتَّى طَهُرَتْ مِنَ النِّفَاسِ ثُمَّ حَمَلَتْهُ إِلَى قَوْمِهَا فَكَلَّمَهَا عِيسَى فِي الطَّرِيقِ فَقَالَ:

يَا أُمَّاهُ، أَبْشِرِي فَإِنِّي عَبْدُ ٱللَّهِ وَمَسِيحُهُ. فَلَمَّا دَخَلَتْ عَلَىٰ أَهْلِهَا وَمَعَهَا الصَّبِيُّ بَكَوْا وَحَزِنُوا، وَكَانُوا أَهْلَ بَيْتٍ صَالِحِينَ، فَقَالُوا مُؤَنِّبِينَ لَهَا (قَالُوا۟ يَٰمَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْـًٔا فَرِيًّا) أَيْ: لَقَدْ فَعَلْتِ شَيْئًا مُنْكَرًا عَظِيمًا (يَٰٓأُخْتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا) أَيْ: إِنَّكِ يَا مَرْيَمُ كُنْتِ فِي الزُّهْدِ كَهَارُونَ فَكَيْفَ صِرْتِ هَكَذَا، مَا كَانَ أَبُوكِ عِمْرَانُ رَجُلًا زَانِيًا وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ ٱمْرَأَةً فَاجِرَةً (فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ) أَيْ: فَأَشَارَتْ لَهُمْ أَنْ كَلِّمُوا عِيسَىٰ. فَقَالُوا مُنْكِرِينَ لِجَوَابِهَا، ظَانِّينَ أَنَّهَا تَسْخَرُ مِنْهُمْ (قَالُوا۟ كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِى ٱلْمَهْدِ صَبِيًّا) أَيْ: مَنْ هُوَ مَوْجُودٌ فِي مَهْدِهِ فِي حَالِ صِغَرِهِ كَيْفَ يَتَكَلَّمُ؟ (قَالَ إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ) أَوَّلُ شَيْءٍ تَكَلَّمَ بِهِ أَنْ نَزَّهَ رَبَّهُ تَعَالَىٰ عَنِ ٱتِّخَاذِهِ وَلَدًا - سُبْحَانَهُ عَزَّ وَعَلَا عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا - وَأَثْبَتَ لِنَفْسِهِ شَرَفَ ٱلْعُبُودِيَّةِ لِرَبِّهِ.

وَقَدْ وَصَفَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ، عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ ٱلصَّلَاةِ وَأَتَمُّ ٱلسَّلَامِ، نَفْسَهُ بِصِفَاتٍ ثَمَانِيَةٍ: أَوَّلُهَا ٱلْعُبُودِيَّةُ، ٱعْتَرَفَ بِهَا وَقَدَّمَهَا لِئَلَّا يَتَّخِذُوهُ إِلَٰهًا، وَآخِرُهَا إِعْطَاءُ ٱللَّهِ لَهُ ٱلْأَمَانَ فِي أَخْوَفِ مَقَامٍ، وَهُوَ مَقَامُ ٱلْبَعْثِ وَٱلنُّشُورِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ.

قَالَ: (ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ) أَيْ: عَلَّمَنِي التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ فِي بَطْنِ أُمِّي (وَجَعَلَنِى نَبِيًّا) بَعْدَ الْخُرُوجِ مِنْ بَطْنِ أُمِّي (وَجَعَلَنِى مُبَارَكًا) أَيْ: نَفَّاعًا مُعَلِّمًا لِلْخَيْرِ (أَيْنَ مَا كُنتُ) أَيْ: فِي أَيِّ مَكَانٍ كُنْتُ (وَأَوْصَٰنِى بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا) أَيْ: أَمَرَنِي بِإِقَامَةِ ٱلصَّلَاةِ وَتَطْهِيرِ النَّفْسِ عَنِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ فِي الدُّنْيَا لِيَكُونَ ذَٰلِكَ حُجَّةً عَلَىٰ مَنِ ٱدَّعَىٰ أَنَّهُ عليه السلام إِلَٰهٌ، لِأَنَّهُ لَا شَكَّ فِي أَنَّ مَنْ يَعْبُدُ إِلَٰهًا لَيْسَ بِإِلَٰهٍ، (وَبَرًّۢا بِوَٰلِدَتِى) أَيْ: وَكَّفَنِي أَنْ أَبَرَّ أُمِّي، وَهَٰذَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ تَنْزِيهِ

أُمِّهِ عَنِ الزِّنَا إِذْ لَوْكَانَتْ زَانِيَةً لَمَا كَانَ الرَّسُولُ المَعْصُومُ مَأْمُورًا بِتَعْظِيمِهَا (وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا) أَيْ: لَمْ يَجْعَلْنِي مُتَعَاظِمًا عَاصِيًا لِلَّهِ عَنِيدًا لَهُ لِفَرْطِ التَّكَبُّرِ، بَلْ جَعَلَنِي مُتَوَاضِعًا، (وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) أَيْ: الأَمَانُ مِنَ اللَّهِ عَلَيَّ حِينَ وُلِدْتُ، مِنْ لَمْزَةِ الشَّيْطَانِ، وَحِينَ أَمُوتُ، مِنْ ضَغْطَةِ القَبْرِ، وَيَوْمَ القِيَامَةِ، أَنْ يَنَالَنِي الفَزَعُ الأَكْبَرُ. (مراح لبيد - تفسير النووي ٢/٦).

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ أَحْبَارُ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلِمُوا أَنَّهُ لَا أَبَ لَهُ، وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَلَقَهُ كَمَا خَلَقَ حَضْرَةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَبَلَغَ المَلِكَ هِيرُودُس خَبَرُ حَضْرَةِ عِيسَى، فَهَمَّ بِقَتْلِ حَضْرَةِ مَرْيَمَ وَابْنِهَا، فَخَافَ حَضْرَةُ زَكَرِيَّا وَالمُؤْمِنُونَ عَلَيْهِمَا مِنَ القَتْلِ، فَأَمَرَ يُوسُفَ النَّجَّارَ أَنْ يَنْقُلَهُمَا إِلَى أَرْضِ مِصْرَ.

بَعْضُ مُعْجِزَاتِ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَقَامَتْ حَضْرَةُ مَرْيَمَ وَابْنُهَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمِصْرَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً حَتَّى أَهْلَكَ اللَّهُ المَلِكَ هِيرُودُس، فَجَاءَ يُوسُفُ النَّجَّارُ فَرَجَعَ بِهِمَا فَسَكَنَا بِجَبَلِ الخَلِيلِ بِفِلَسْطِينَ، بِقَرْيَةٍ يُقَالُ لَهَا النَّاصِرَةُ. ثُمَّ أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ أَنْ تَمَّتْ لَهُ ثَلَاثُونَ سَنَةً أَنْ يَبْرُزَ (أَيْ يَظْهَرَ) إِلَى النَّاسِ وَيَدْعُوَهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ الإِنْجِيلَ المُبَارَكَ المَفْقُودَ حَالِيًّا، قَالَ تَعَالَى: (وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) - المائدة ٤٦ -. فَكَانَ يَسِيرُ فِي البِلَادِ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيُرَغِّبُهُمْ فِيمَا عِنْدَهُ، وَيُزَهِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَضْرِبُ لَهُمُ الأَمْثَالَ، وَيُدَاوِي المَرْضَى وَالزَّمْنَى (أَصْحَابَ العَاهَاتِ)، وَيُبْرِئُ الأَكْمَهَ وَالأَبْرَصَ، وَيَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِ اللَّهِ، وَيُحْيِي المَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ. قَالَ تَعَالَى: (إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى

عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِى فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِى وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِى وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى) ـ المائدة ١١٠ ـ.

وَمِنْ مُعْجِزَاتِهِ عليه السلام إِخْبَارُهُ عَنِ ٱلْغُيُوبِ (فِي الْحَالِ) قَالَ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنْهُ: (وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ) ـ آل عمران ٤٩ ـ

وَمِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي أَكْرَمَهُ ٱللَّهُ بِهَا إِنْزَالُ مَائِدَةٍ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ تَعَالَىٰ: (قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ • قَالَ ٱللَّهُ إِنِّى مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّىٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ) ـ المائدة ١١٤، ١١٥ ـ. رُوِيَ أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عليه السلام لَمَّا أَرَادَ الدُّعَاءَ لَبِسَ صُوفًا ثُمَّ قَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا ... فَنَزَلَتْ سُفْرَةٌ حَمْرَاءُ بَيْنَ غَمَامَتَيْنِ، غَمَامَةٌ فَوْقَهَا وَأُخْرَىٰ تَحْتَهَا، وَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْهَا حَتَّىٰ سَقَطَتْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، فَبَكَىٰ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عليه السلام وَقَالَ: اللَّهُمَّ ٱجْعَلْنِي مِنَ الشَّاكِرِينَ، اللَّهُمَّ ٱجْعَلْهَا رَحْمَةً وَلَا تَجْعَلْهَا مُثْلَةً (عُقُوبَةً) وَعُقُوبَةً. وَقَالَ لَهُمْ: لِيَقُمْ أَحْسَنُكُمْ عَمَلًا يَكْشِفْ عَنْهَا وَيَذْكُرِ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا وَيَأْكُلْ مِنْهَا. فَقَالَ شَمْعُونُ رَأْسُ الْحَوَارِيِّينَ: أَنْتَ أَوْلَىٰ بِذَلِكَ. فَقَامَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عليه السلام وَتَوَضَّأَ وَصَلَّىٰ وَبَكَىٰ، ثُمَّ كَشَفَ الْمَنْدِيلَ وَقَالَ: بِٱسْمِ ٱللَّهِ خَيْرِ الرَّازِقِينَ. فَإِذَا سَمَكَةٌ مَشْوِيَّةٌ بِلَا شَوْكٍ وَلَا فُلُوسٍ (قِشْرَةِ السَّمَكِ) تَسِيلُ دَسَمًا، وَعِنْدَ رَأْسِهَا مِلْحٌ، وَعِنْدَ ذَنَبِهَا خَلٌّ، وَحَوْلَهَا مِنَ الْأَلْوَانِ مَا خَلَا الْكُرَّاثَ (بَقْلَةٌ مَعْرُوفَةٌ) وَإِذَا خَمْسَةُ أَرْغِفَةٍ، عَلَىٰ وَاحِدٍ مِنْهَا زَيْتُونٌ، وَعَلَى الثَّانِي عَسَلٌ، وَعَلَى الثَّالِثِ سَمْنٌ، وَعَلَى الرَّابِعِ جُبْنٌ، وَعَلَى ٱلْخَامِسِ قَدِيدٌ (لَحْمٌ مُقَطَّعٌ

وَمُجَنَّدٌ) . فَقَالَ شَمْعُونُ : يَا رُوحَ اللَّهِ، مِنْ طَعَامِ الدُّنْيَا هَذَا أَمْ مِنْ طَعَامِ الآخِرَةِ ؟ فَقَالَ : لَيْسَ مِنْهُمَا وَلَكِنَّهُ شَيْءٌ اخْتَرَعَهُ اللَّهُ بِالْقُدْرَةِ الْعَالِيَةِ، كُلُوا مَا سَأَلْتُمْ وَاشْكُرُوا يُمْدِدْكُمُ اللَّهُ وَيَزِدْكُمْ مِنْ فَضْلِهِ . فَقَالَ الْحَوَارِيُّونَ : لَوْ أَرَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ الآيَةِ آيَةً أُخْرَى . فَقَالَ : يَا سَمَكَةُ إِحْيِي بِإِذْنِ اللَّهِ، فَاضْطَرَبَتْ ، ثُمَّ قَالَ لَهَا : عُودِي كَمَا كُنْتِ، فَعَادَتْ مَشْوِيَّةً . ثُمَّ طَارَتِ الْمَائِدَةُ، ثُمَّ عَصَوْا وَقَالُوا بَعْدَ النُّزُولِ وَالأَكْلِ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ . فَمَسَخَ اللَّهُ مِنْهُمْ ثَلَاثَمِائَةٍ وَثَلَاثِينَ رَجُلًا، بَاتُوا لَيْلَتَهُمْ مَعَ نِسَائِهِمْ، ثُمَّ أَصْبَحُوا خَنَازِيرَ يَسْعَوْنَ فِي الطُّرُقَاتِ وَالْكُنَاسَاتِ (مَوَاضِعِ الزِّبَالَةِ) ، وَيَأْكُلُونَ الْعَذِرَةَ (الْغَائِطَ) فِي الْحُشُوشِ (الْبَسَاتِينِ)، وَلَمَّا أَبْصَرَتِ الْخَنَازِيرُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بَكَتْ وَجَعَلَتْ تُطِيفُ بِهِ وَجَعَلَ يَدْعُوهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ، وَاحِدًا بَعْدَ وَاحِدٍ، فَيَبْكُونَ وَيُشِيرُونَ بِرُءُوسِهِمْ، وَلَا يَقْدِرُونَ عَلَى الْكَلَامِ، فَعَاشُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ثُمَّ هَلَكُوا. (مراح لبيد - تفسير النووي رح).

إِبْلِيسُ اللَّعِينُ وَبَدْءُ الْفِتْنَةِ بِعِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ الْكِسَائِيُّ : قَالَ وَهْبٌ : جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ وَأَصْحَابٌ لَهُ عَلَى صُوَرِ رِجَالٍ ذَوِي هَيْئَةٍ وَشَيْبَةٍ، وَحَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ : (أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ) -آل عمران ٤٩- فَقَالَ إِبْلِيسُ : أَتَخْلُقُ وَتَشْفِي الْمَرْضَى ، وَتُحْيِي الْمَوْتَى ، وَتُنَبِّئُنَا بِالْغَيْبِ ؟ قَالَ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ : نَعَمْ . قَالَ إِبْلِيسُ : هَذَا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ! يَا أَيُّهَا النَّاسُ فَانْظُرُوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ نَزَلَ إِلَيْكُمْ لِيُرِيَكُمْ قُدْرَتَهُ . فَقَالَ أَحَدُ أَصْحَابِ إِبْلِيسَ : بِئْسَمَا قُلْتَ يَا شَيْخُ ! أَخْطَأْتَ وَجُرْتَ وَقُلْتَ قَوْلًا عَظِيمًا ، أَتَزْعُمُ أَنَّ اللَّهَ يَتَجَلَّى لِخَلْقِهِ لِيَنْظُرُوا إِلَى قُدْرَتِهِ ؟ وَهَلْ يَنْبَغِي لِخَلْقِهِ أَنْ يَنْظُرُوا إِلَيْهِ أَوْ يَسْمَعُوا كَلَامَهُ أَوْ يَقُومُوا لِرُؤْيَتِهِ ؟ لَا وَلَكِنَّهُ ابْنُ اللَّهِ وَلَيْسَ هُوَ اللَّهُ . فَقَالَ الثَّالِثُ : كَلَّا كَمَا قَالَ شَطَطًا

(أي ظُلْمًا) وَأَخْطَأَ وَجَارَ، وَقَالَ قَوْلًا عَظِيمًا، وَهَلْ يَنْبَغِي لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ صَاحِبَةً يَكُونُ لَهُ مِنْهَا وَلَدٌ؟ وَهَلْ يَنْبَغِي لِوَلَدٍ هُوَ مِنَ اللَّهِ أَنْ تَسْتَقِلَّ بِهِ قُوَّةُ امْرَأَةٍ وَيَسَعُهُ رَحِمُهَا؟ وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ مَعَ اللَّهِ وَلَيْسَ بِوَلَدٍ لِلَّهِ وَلَيْسَ بِاللَّهِ كَمَا قُلْتُمَا. فَتَفَرَّقُوا عَلَى ذَلِكَ وَنَطَقَ النَّاسُ بِقَوْلِهِمْ، فَصَارَ ذَلِكَ كَلَامَ النَّصَارَى. قَالَ تَعَالَى: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ) - المائدة ٧٢ - وَقَالَ تَعَالَى: (وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ) - البقرة ١١٦ - وَقَالَ: (لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ) - المائدة ٧٣ -

ادِّعَاءُ إِبْلِيسَ أُلُوهِيَّةَ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَ وَهْبٌ: جَاءَ إِبْلِيسُ إِلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَعَارَضَهُ فِي عَقَبَةٍ (أَعْلَى الطَّرِيقِ) مِنْ عِقَابِ الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ يُقَالُ لَهَا "عَقَبَةُ فِيقٍ" فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ بْنُ مَرْيَمَ؟ قَالَ حَضْرَةُ عِيسَى: أَنَا الْمَسِيحُ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ وَعَبْدُ اللَّهِ وَابْنُ أَمَتِهِ (عَبْدَتِهِ). فَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: فَأَنْتَ إِلَهُ الْأَرْضِ؟ قَالَ: بَلْ إِلَهُ الْأَرْضِ رَبِّي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنْ تَكَلَّمْتَ فِي الْمَهْدِ (أي الفراش) صَبِيًّا؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي أَنْطَقَنِي فِي صِغَرِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَتَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي خَلَقَنِي وَخَلَقَ مَا سَخَّرَ لِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَشْفِي الْمَرْضَى؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي بِإِذْنِهِ شَفَيْتُهُمْ وَإِنْ شَاءَ أَمْرَضَنِي. قَالَ إِبْلِيسُ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تُحْيِي الْمَوْتَى؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي بِإِذْنِهِ أَحْيَيْتُهُمْ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ سَيُمِيتُ مَنْ أَحْيَيْتُ وَيُمِيتُنِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَعْبُرُ الْبَحْرَ فَلَا تَبْتَلُّ قَدَمَاكَ وَلَا تَرْسَخُ فِيهِ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي ذَلَّلَهُ (أي سَهَّلَهُ). قَالَ:

فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ تَعْلَمُ الْغَيْبَ؟ قَالَ عليه السلام: بَلِ الْعَظَمَةُ لِعَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، لَسْتُ أَعْلَمُ إِلَّا مَا عَلَّمَنِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ كُوِّنْتَ مِنْ غَيْرِ أَبٍ؟ قَالَ عليه السلام: بَلِ الْعَظَمَةُ لِلَّذِي كَوَّنَنِي وَكَوَّنَ آدَمَ وَحَوَّاءَ مِنْ قَبْلِي. قَالَ: فَأَنْتَ الَّذِي بَلَغَ مِنْ عِظَمِ رُبُوبِيَّتِكَ أَنَّكَ سَيَأْتِي عَلَيْكَ يَوْمٌ تَعْلُو فِيهِ الْخَلَائِقَ كُلَّهَا، فَتَكُونُ السَّمَوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ وَمَنْ فِيهِنَّ دُونَكَ، وَأَنْتَ فَوْقَ ذَلِكَ كُلِّهِ تُدَبِّرُ الْأَمْرَ وَتَقْسِمُ الْأَرْزَاقَ؟ فَأَعْظَمَ (أَيْ عَدَّهُ عَظِيمًا) حَضْرَةُ عِيسَى عليه السلام قَوْلَهُ وَضَاقَ بِهِ ذَرْعًا، وَسَبَّحَ إِعْظَامًا لِمَا قَالَ. إِبْلِيسُ، فَأَتَاهُ حَضْرَةُ جِبْرِيلَ عليه السلام، فَنَفَخَ عَلَى إِبْلِيسَ نَفْخَةً ذَهَبَ يَلْطِمُ (١) مِنْهَا عَلَى وَجْهِهِ فَلَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئًا حَتَّى وَقَعَ بِالْخَافِقِ الْأَقْصَى (الْأُفُقِ الْأَبْعَدِ)، ثُمَّ نَهَضَ بِالَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ مِنَ الْقُوَّةِ، فَسَبَقَ حَضْرَةَ عِيسَى عليه السلام إِلَى أَسْفَلِ الْعَقَبَةِ فَسَدَّهَا وَمَلَأَ كُلَّ ثَلْمَةٍ (أَيْ شَقٍّ) وَطَرِيقٍ، ثُمَّ قَالَ لِحَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام: لَقَدْ غَضِبْتَ غَضَبَ إِلَهٍ عَظِيمٍ، وَقَدْ أَخْبَرْتُكَ بِأَنَّكَ إِلَهٌ وَمَا أَنْتَ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَوْ كُنْتَ مِنَ الْبَشَرِ مَا قُمْتَ، مُنْذُ فَارَقْتُكَ، أَرْبَعِينَ لَيْلَةً لَمْ تَطْعَمْ وَلَمْ تَشْرَبْ، وَلَمْ تَنَمْ وَلَمْ يَضْرُعْ (أَيْ يَضْعُفْ) لِذَلِكَ جِسْمُكَ، وَهَذَا مَا لَا يَنْبَغِي لِبَشَرٍ. قَالَ حَضْرَةُ عِيسَى عليه السلام: إِنَّ جَسَدِي لَيَأْلَمُ مِمَّا يَأْلَمُ مِنْهُ الْبَشَرُ، وَإِنِّي لَأَطْعَمُ وَأَشْرَبُ وَأَنَامُ وَأَفْرَحُ وَأَحْزَنُ، وَأَجْزَعُ وَأَهْلَعُ (أَضْعُفُ عَنْ حَمْلِ مَا نَزَلَ بِي)، وَأَحْتَاجُ إِلَى أَنْ أَتَنَظَّفَ بِالْمَاءِ، وَكَيْفَ تَزْعُمُ أَنِّي إِلَهٌ وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَكَذَا؟ وَلَمْ يَزَلْ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ يُحَاوِرُهُ حَتَّى عَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يَأْمُرَ الشَّيَاطِينَ بِعِبَادَتِهِ وَالِاعْتِرَافِ بِرُبُوبِيَّتِهِ. فَضَاقَ حَضْرَةُ عِيسَى عليه السلام ذَرْعًا (أَيْ لَمْ يُطِقْ مُجَادَلَتَهُ)، وَسَبَّحَ اللَّهَ تَعَالَى وَقَالَ: «سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَقُولُ وَبِحَمْدِهِ، مِلْءَ سَمَائِهِ وَأَرْضِهِ، وَعَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَمَبْلَغَ عِلْمِهِ، وَمُنْتَهَى كَلِمَاتِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ» فَهَبَطَ جِبْرِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَافِيلُ، فَنَفَخَهُ مِيكَائِيلُ نَفْخَةً ذَهَبَ مِنْهَا نَحْوَ

مَطْلَعِ الشَّمْسِ حَتَّىٰ صَدَمَ عَيْنَ الشَّمْسِ عِنْدَ طُلُوعِهَا ، فَخَرَّ حَصِيداً مُحْتَرِقاً ، فَأَتْبَعَهُ حَضْرَةُ إِسْرَافِيلَ فَنَفَخَهُ نَحْوَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ ، فَانْطَلَقَ لَا يَمْلِكُ مِنْ نَفْسِهِ شَيْئاً ، حَتَّىٰ حَاذَىٰ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : يَا ابْنَ مَرْيَمَ لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكَ تَعَباً . وَمَرَّتْ بِهِ النَّفْخَةُ حَتَّىٰ وَقَعَ فِي الْعَيْنِ الْحَامِيَةِ الَّتِي تَغْرُبُ الشَّمْسُ فِيهَا ، فَلَبِثَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ وَسَبْعَ لَيَالٍ ، مَتَىٰ أَرَادَ الْخُرُوجَ مِنْهَا غَطَّتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِأَجْنِحَتِهَا (أي مَنَعَتْهُ الْخُرُوجَ) ، فَمَا رَامَ (أي طَلَبَ) حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ ذَٰلِكَ . (يَلُمُّ أي يَصْنَعُ) (نهاية الأرب)

تَبْرِئَةُ حَضْرَةِ عِيسَىٰ مِنْ ادِّعَاءِ الرُّبُوبِيَّةِ

بَرَّأَ اللَّهُ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِمَّا افْتَرَاهُ عَلَيْهِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ بِأَنَّهُ ادَّعَىٰ وَأُمَّهُ الْأُلُوهِيَّةَ ، فَقَالَ تَعَالَىٰ : ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ - المائدة ١١٦ - وَهَٰذَا السُّؤَالُ يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَقْرِيعاً وَتَقْبِيحاً لِلَّذِينَ عَبَدُوهُ ، عَلَىٰ رُؤُوسِ الْأَشْهَادِ ، فَيَكُونُ جَوَابُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : ﴿قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ الْغُيُوبِ • مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيداً مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ - المائدة ١١٦/١١٧ - . أَيْ : أُنَزِّهُكَ وَأُعَظِّمُكَ يَا رَبِّ عَنْ أَنْ أَفْعَلَ ذَٰلِكَ أَوْ أَتَكَلَّمَ بِهِ ، فَأَنَا عَبْدٌ مَخْلُوقٌ وَأُمِّي كَذَٰلِكَ ، فَكَيْفَ نَدَّعِي الرُّبُوبِيَّةَ ؟ إِنْ كَانَ ذَٰلِكَ صَدَرَ مِنِّي فَإِنَّكَ عَالِمٌ بِهِ ، إِنَّكَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْكَ مَا أَضْمَرَتْهُ نَفْسِي ، تَعْلَمُ ضَمَائِرَ النُّفُوسِ مِمَّا لَمْ تَنْطِقْ بِهِ ، فَكَيْفَ بِمَا قَدْ نَطَقَتْ بِهِ ؟ وَلَا أَعْلَمُ يَا رَبِّ مَا أَخْفَيْتَهُ عَنِّي مِنَ الْأَشْيَاءِ ، أَنْتَ الْعَالِمُ بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ ،

لَا يَعْلَمُهَا غَيْرُكَ . مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا الَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ مِنْ تَوْحِيدِكَ وَعِبَادَتِكَ ، وَكُنْتُ شَاهِدًا عَلَيْهِمْ وَعَلَى أَعْمَالِهِمْ ، حِينَ كُنْتُ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ ، فَلَمَّا قَبَضْتَنِي إِلَيْكَ كُنْتَ أَنْتَ الحَفِيظَ عَلَيْهِمْ دُونِي ، أَنْتَ تَشْهَدُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ، لَا يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ . - مختصر تفسير الطبري ٧/٤٠٩ - . وَفِي هَذَا السُّؤَالِ ، يَوْمَ القِيَامَةِ ، إِكْرَامٌ لِحَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَإِيقَاعُ الحُجَّةِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَأَعْدَاءِ اللَّهِ ، وَتَبْرِئَةٌ لِجَنَابِهِ الشَّرِيفِ مِنْ تِلْكَ التُّهْمَةِ المُلَفَّقَةِ عَلَيْهِ ، وَعِقَابٌ لِلظَّالِمِينَ عَلَى افْتِرَائِهِمْ.

سَبَبُ تَسْمِيَةِ حَضْرَةِ عِيسَى بِالْمَسِيحِ

وَرَدَ اسْمُ المَسِيحِ فِي كِتَابِ اللَّهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ ﴾ - آل عمران ٤٥ - . قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ : سُمِّيَ المَسِيحُ لِكَثْرَةِ سِيَاحَتِهِ . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ مَسِيحَ القَدَمَيْنِ لَا أَخْمَصَ لَهُمَا . وَقِيلَ : لِأَنَّهُ كَانَ إِذَا مَسَحَ أَحَدًا مِنْ ذَوِي العَاهَاتِ بَرِئَ بِإِذْنِ اللَّهِ ، قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ﴾ - المائدة ١١٠ - . وَيُقَالُ لَهُ : المَسِيحُ المُخَلِّصُ ، لِأَنَّهُ يَنْزِلُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ وَيُخَلِّصُ النَّاسَ الأَتْقِيَاءَ مِمَّا انْصَبَّ فِي دِيَارِهِمْ مِنْ فَسَادٍ وَزِنًى وَظُلْمٍ وَمُحَرَّمَاتٍ ، وَقَهْرٍ وَجُوعٍ وَقَحْطٍ وَإِلْحَادٍ. وَأَعْظَمُ مَا يُخَلِّصُهُمْ مِنْهُ الفِتْنَةُ العُظْمَى بِقَتْلِهِ لِلأَعْوَرِ الدَّجَّالِ لَعَنَهُ اللَّهُ

مَشْيُ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْمَاءِ

عَنْ بَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ المُزَنِيِّ قَالَ : فَقَدَ الحَوَارِيُّونَ نَبِيَّهُمْ عِيسَى فَقِيلَ لَهُمْ : تَوَجَّهَ نَحْوَ البَحْرِ ، فَانْطَلَقُوا يَطْلُبُونَهُ فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى البَحْرِ ، إِذَا هُوَ يَمْشِي عَلَى المَاءِ يَرْفَعُهُ المَوْجُ مَرَّةً وَيَضَعُهُ أُخْرَى ، وَعَلَيْهِ كِسَاءٌ مُرْتَدٍ بِنِصْفِهِ ، حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِمْ فَقَالَ لَهُ بَعْضُهُمْ : أَلَا أَجِيءُ إِلَيْكَ

يَا نَبِيَّ ٱللَّهِ ؟ قَالَ: بَلَىٰ . فَوَضَعَ إِحْدَىٰ رِجْلَيْهِ عَلَى الْمَاءِ ثُمَّ ذَهَبَ لِيَضَعَ الْأُخْرَىٰ فَقَالَ : أُوهٍ ، غَرِقْتُ يَا نَبِيَّ ٱللَّهِ . فَقَالَ : أَرِنِي يَدَكَ يَا قَصِيرَ الإِيمَانِ ، لَوْ أَنَّ لِٱبْنِ آدَمَ مِنَ الْيَقِينِ قَدْرَ شَعِيرَةٍ مَشَىٰ عَلَى الْمَاءِ .

عَنِ الْفُضَيْلِ بْنِ عِيَاضٍ قَالَ : قِيلَ لِعِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ : يَا عِيسَىٰ بِأَيِّ شَيْءٍ تَمْشِي عَلَى الْمَاءِ ؟ قَالَ : بِالْإِيمَانِ وَالْيَقِينِ . قَالُوا : فَإِنَّا آمَنَّا كَمَا آمَنْتَ ، وَأَيْقَنَّا كَمَا أَيْقَنْتَ . قَالَ : فَٱمْشُوا إِذًا . فَمَشَوْا مَعَهُ فِي الْمَوْجِ ، فَغَرِقُوا . فَقَالَ لَهُمْ عِيسَىٰ : مَا لَكُمْ ؟ فَقَالُوا : خِفْنَا الْمَوْجَ . قَالَ : أَلَا خِفْتُمْ رَبَّ الْمَوْجِ ! فَأَخْرَجَهُمْ ، ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى الْأَرْضِ ، فَقَبَضَ بِهَا ، ثُمَّ بَسَطَهَا ، فَإِذَا فِي إِحْدَىٰ يَدَيْهِ ذَهَبٌ وَفِي الْأُخْرَىٰ مَدَرٌ أَوْ حَصًى ، فَقَالَ : أَيُّهُمَا أَحْلَىٰ فِي قُلُوبِكُمْ ؟ فَقَالُوا : هَٰذَا الذَّهَبُ . قَالَ : فَإِنَّهَا عِنْدِي سَوَاءٌ .

زُهْدُ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عَنْ بَعْضِ السَّلَفِ أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عليه السلام كَانَ يَلْبَسُ الشَّعْرَ وَيَأْكُلُ مِنْ وَرَقِ الشَّجَرِ ، وَلَا يَأْوِي إِلَىٰ مَنْزِلٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا مَالٍ ، وَلَا يَدَّخِرُ شَيْئًا لِغَدٍ . عَنِ الْحَسَنِ قَالَ : إِنَّ عِيسَىٰ رَأْسُ الزَّاهِدِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَإِنَّ الْفَرَّارِينَ بِذُنُوبِهِمْ يُحْشَرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ عِيسَىٰ . وَقَالَ : كَانَ عِيسَىٰ يَوْمًا نَائِمًا عَلَىٰ حَجَرٍ قَدْ تَوَسَّدَهُ ، وَبَيْنَمَا هُوَ عَلَىٰ هَٰذِهِ الْحَالَةِ إِذْ مَرَّ بِهِ إِبْلِيسُ فَقَالَ : يَا عِيسَىٰ أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تُرِيدُ شَيْئًا مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا ؟ فَهَٰذَا الْحَجَرُ مِنْ عَرَضِ الدُّنْيَا . فَقَامَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ فَأَخَذَ الْحَجَرَ فَرَمَىٰ بِهِ إِلَيْهِ وَقَالَ : هَٰذَا لَكَ مَعَ الدُّنْيَا .

عَنِ ٱبْنِ عُمَرَ قَالَ : قَالَ عِيسَىٰ لِلْحَوَارِيِّينَ : كُلُوا خُبْزَ الشَّعِيرِ

وَٱشْرَبُوا المَاءَ القُرَاحَ (الخالِصَ) ، وَٱخْرُجُوا مِنَ الدُّنْيَا سَالِمِينَ آمِنِينَ.
بِحَقٍّ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّ حَلَاوَةَ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الآخِرَةِ ، وَإِنَّ مَرَارَةَ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الآخِرَةِ ، وَإِنَّ عِبَادَ ٱللَّهِ لَيْسُوا بِالْمُتَنَعِّمِينَ . بِحَقٍّ مَا أَقُولُ لَكُمْ ، إِنَّ شَرَّكُمْ عَالِمٌ يُؤْثِرُ هَوَاهُ عَلَىٰ عِلْمِهِ ، يَوَدُّ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ مِثْلُهُ .

دُعَاءُ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَخَوْفُهُ مِنَ ٱللَّهِ

رَوَىٰ ٱبْنُ عَسَاكِرَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ : كَانَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ السَّاعَةُ صَاحَ وَيَقُولُ : "لَا يَنْبَغِي لِٱبْنِ مَرْيَمَ أَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ السَّاعَةُ وَيَسْكُتَ" . وَفِيهِ دَلِيلٌ عَلَىٰ شِدَّةِ خَوْفِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ خَالِقِهِ.
وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ بَلْقَانَ أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَقُولُ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَصْبَحْتُ لَا أَسْتَطِيعُ دَفْعَ مَا أَكْرَهُ وَلَا أَمْلِكُ نَفْعَ مَا أَرْجُو ، وَأَصْبَحَ الْأَمْرُ بِيَدِ غَيْرِي ، وَأَصْبَحْتُ مُرْتَهَناً بِعَمَلِي ، فَلَا فَقِيرَ أَفْقَرُ مِنِّي . اللَّهُمَّ لَا تُشَمِّتْ بِي عَدُوِّي ، وَلَا تَسُؤْ بِي صَدِيقِي ، وَلَا تَجْعَلْ مُصِيبَتِي فِي دِينِي ، وَلَا تُسَلِّطْ عَلَيَّ مَنْ لَا يَرْحَمُنِي » .

بَعْضُ حِكَمِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

- كَمَا تَرَكَ لَكُمُ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ فَكَذَٰلِكَ فَٱتْرُكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا.
- اُعْبُرُوا الدُّنْيَا وَلَا تَعْمُرُوهَا .
- حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَالنَّظَرُ يَزْرَعُ فِي الْقَلْبِ الشَّهْوَةَ.
- يَا ٱبْنَ آدَمَ الضَّعِيفَ ، إِتَّقِ ٱللَّهَ حَيْثُ مَا كُنْتَ ، وَكُنْ فِي الدُّنْيَا ضَيْفاً ، وَعَلِّمْ عَيْنَكَ ٱلْبُكَاءَ ، وَجَسَدَكَ ٱلصَّبْرَ ، وَقَلْبَكَ ٱلتَّفْكِيرَ ، وَلَا تَهْتَمَّ بِرِزْقِ غَدٍ فَإِنَّهَا خَطِيئَةٌ.
- كَمَا أَنَّهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدُكُمْ أَنْ يَتَّخِذَ عَلَىٰ مَوْجِ الْبَحْرِ دَاراً ، فَلَا يَتَّخِذِ ٱلدُّنْيَا قَرَاراً.

• طَالِبُ الدُّنْيَا مِثْلُ شَارِبِ مَاءِ الْبَحْرِ، كُلَّمَا ازْدَادَ شُرْبًا ازْدَادَ عَطَشًا حَتَّىٰ يَقْتُلَهُ.

• طُوبَىٰ لِمَنْ بَكَىٰ مِنْ ذِكْرِ خَطِيئَتِهِ، وَحَفِظَ لِسَانَهُ، وَوَسِعَهُ بَيْتُهُ.

• طُوبَىٰ لِمَنْ قَرَأَ كِتَابَ اللّٰهِ وَاتَّبَعَهُ.

• طُوبَىٰ لِعَيْنٍ نَامَتْ وَلَمْ تُحَدِّثْ نَفْسَهَا بِالْمَعْصِيَةِ، وَانْتَبَهَتْ إِلَىٰ غَيْرِ إِثْمٍ.

• يَا مَعْشَرَ الْحَوَارِيِّينَ، اجْعَلُوا كُنُوزَكُمْ فِي السَّمَاءِ، فَإِنَّ قَلْبَ الرَّجُلِ حَيْثُ كَنْزُهُ.

• مَنْ تَعَلَّمَ وَعَلَّمَ وَعَمِلَ، دُعِيَ عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاءِ.

• لَا تُكْثِرُوا الْحَدِيثَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللّٰهِ فَتَقْسُوَ قُلُوبُكُمْ، فَإِنَّ الْقَلْبَ الْقَاسِيَ بَعِيدٌ عَنِ اللّٰهِ وَلٰكِنْ لَا تَعْلَمُونَ، وَلَا تَنْظُرُوا فِي ذُنُوبِ الْعِبَادِ كَأَنَّكُمْ أَرْبَابٌ، وَانْظُرُوا فِيهَا كَأَنَّكُمْ عَبِيدٌ، فَإِنَّمَا النَّاسُ رَجُلَانِ، مُعَافًى وَمُبْتَلًى، فَارْحَمُوا أَهْلَ الْبَلَاءِ، وَاحْمَدُوا اللّٰهَ عَلَى الْعَافِيَةِ.

• وَقَفَ عليه السلام وَأَصْحَابُهُ عَلَىٰ قَبْرٍ، وَصَاحِبُهُ يُدْلَىٰ فِيهِ (أي يُنزَلُ فِيهِ) فَجَعَلُوا يَذْكُرُونَ الْقَبْرَ وَضِيقَهُ، فَقَالَ: قَدْ كُنْتُمْ فِيمَا هُوَ أَضْيَقُ مِنْهُ فِي أَرْحَامِ أُمَّهَاتِكُمْ، فَإِذَا أَحَبَّ اللّٰهُ أَنْ يُوَسِّعَ وَسَّعَ.

رَفْعُ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عليه السلام إِلَى السَّمَاءِ

لَقَدْ حَسَدَ الْيَهُودُ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عليه السلام عَلَىٰ مَا آتَاهُ اللّٰهُ تَعَالَىٰ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمُعْجِزَاتِ الْبَاهِرَاتِ، فَكَذَّبُوهُ وَخَالَفُوهُ وَسَعَوْا فِي أَذَاهُ بِكُلِّ مَا أَمْكَنَهُمْ، حَتَّىٰ جَعَلَ نَبِيُّ اللّٰهِ عِيسَىٰ عليه السلام لَا يُسَاكِنُهُمْ فِي بَلْدَةٍ، بَلْ يُكْثِرُ السِّيَاحَةَ هُوَ وَأُمُّهُ عليها السلام، ثُمَّ لَمْ يُقْنِعْهُمْ ذٰلِكَ حَتَّىٰ سَعَوْا إِلَىٰ مَلِكِ دِمَشْقَ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ، وَكَانَ رَجُلًا مُشْرِكًا مِنْ عَبَدَةِ الْكَوَاكِبِ، وَقَالُوا لَهُ: إِنَّ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ رَجُلًا يَفْتِنُ النَّاسَ وَيُضِلُّهُمْ، وَيُفْسِدُ عَلَى الْمُلْكِ رَعَايَاهُ. فَغَضِبَ الْمَلِكُ مِنْ هٰذَا، وَكَتَبَ إِلَىٰ نَائِبِهِ بِالْقُدْسِ أَنْ يَحْتَاطَ عَلَىٰ عِيسَىٰ عليه السلام، وَأَنْ يَصْلِبَهُ وَيَضَعَ الشَّوْكَ عَلَىٰ رَأْسِهِ، وَيَكُفَّ أَذَاهُ عَنِ النَّاسِ. فَلَمَّا وَصَلَ الْكِتَابُ، امْتَثَلَ وَإِلَىٰ بَيْتِ الْمَقْدِسِ

ذَلِكَ ، وَذَهَبَ هُوَ وَطَائِفَةٌ مِنَ الْيَهُودِ إِلَى الْمَنْزِلِ الَّذِي فِيهِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ إِثْنَيْ عَشَرَ أَوْ ثَلَاثَةَ عَشَرَ، وَقِيلَ سَبْعَةَ عَشَرَ نَفَرًا . عَنِ ابْنِ عَبَّاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: "لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عِيسَى إِلَى السَّمَاءِ ، خَرَجَ عَلَى أَصْحَابِهِ، وَفِي الْبَيْتِ إِثْنَا عَشَرَ رَجُلًا مِنَ الْحَوَارِيِّينَ ، يَعْنِي: فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ مِنْ عَيْنٍ فِي الْبَيْتِ ، وَرَأْسُهُ يَقْطُرُ مَاءً فَقَالَ : إِنَّ مِنْكُمْ مَنْ يَكْفُرُ بِي إِثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِي . ثُمَّ قَالَ : أَيُّكُمْ يُلْقَى عَلَيْهِ شَبَهِي فَيُقْتَلَ مَكَانِي وَيَكُونَ مَعِي فِي دَرَجَتِي ، فَقَامَ شَابٌّ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا ، فَقَالَ لَهُ : إِجْلِسْ . ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ ، فَقَامَ ذَلِكَ الشَّابُّ ، فَقَالَ لَهُ : إِجْلِسْ . ثُمَّ أَعَادَ عَلَيْهِمْ فَقَامَ الشَّابُّ فَقَالَ : أَنَا . فَقَالَ : هُوَ أَنْتَ ذَاكَ . فَأُلْقِيَ عَلَيْهِ شَبَهُ عِيسَى وَرُفِعَ عِيسَى مِنْ رَوْزَنَةٍ(1) فِي الْبَيْتِ إِلَى السَّمَاءِ . وَجَاءَ الطَّلَبُ مِنَ الْيَهُودِ فَأَخَذُوا الشَّبَهَ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ صَلَبُوهُ . فَكَفَرَ بِهِ بَعْضُهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةً بَعْدَ أَنْ آمَنَ بِهِ ، وَافْتَرَقُوا ثَلَاثَ فِرَقٍ ، فَقَالَتْ فِرْقَةٌ: "كَانَ اللَّهُ فِينَا مَا شَاءَ ثُمَّ صَعِدَ إِلَى السَّمَاءِ" وَهَؤُلَاءِ الْيَعْقُوبِيَّةُ ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ: "كَانَ فِينَا ابْنُ اللَّهِ مَا شَاءَ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" وَهَؤُلَاءِ النَّسْطُورِيَّةُ ، وَقَالَتْ فِرْقَةٌ : "كَانَ فِينَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ" وَهَؤُلَاءِ الْمُسْلِمُونَ (أي الْمُوَحِّدُونَ) ، فَتَظَاهَرَتِ الْكَافِرَتَانِ عَلَى الْمُسْلِمَةِ فَقَتَلُوهَا ، فَلَمْ يَزَلِ الْإِسْلَامُ (أي التَّوْحِيدُ) طَامِسًا حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صلى الله عليه وسلم" - رواه النسائي ، تفسير ابن كثير ١/٥٥٨ . (رَوْزَنَةٌ : فُتْحَةٌ فِي الْحَائِطِ)

وَهَذَا كُلُّهُ مِنِ امْتِحَانِ اللَّهِ عِبَادَهُ لِمَا لَهُ فِي ذَلِكَ مِنَ الْحِكْمَةِ الْبَالِغَةِ وَقَدْ أَوْضَحَ اللَّهُ الْأَمْرَ وَجَلَّاهُ وَبَيَّنَهُ وَأَظْهَرَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ الْكَرِيمِ الْمُؤَيَّدِ بِالْمُعْجِزَاتِ وَالْبَيِّنَاتِ وَالدَّلَائِلِ الْوَاضِحَاتِ، فَقَالَ تَعَالَى ، وَهُوَ أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ ، الْمُطَّلِعُ عَلَى السَّرَائِرِ وَالضَّمَائِرِ ، الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ، الْعَالِمُ بِمَا كَانَ وَمَا

يَكُونُ ، وَمَا لَمْ يَكُنْ لَوْكَانَ كَيْفَ يَكُونُ: (وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُمْ) ـ النساء ١٥٧ ـ أَيْ: رَأَوْا شَبَهَهُ فَظَنُّوهُ إِيَّاهُ ، وَلِهٰذَا قَالَ (وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ) ـ النساء ١٥٧ ـ يَعْنِي بِذٰلِكَ : مَنِ ادَّعَىٰ أَنَّهُ قَتَلَهُ مِنَ الْيَهُودِ وَمَنْ سَلَّمَهُ إِلَيْهِمْ مِنْ جُهَّالِ النَّصَارَىٰ ، كُلُّهُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذٰلِكَ وَحَيْرَةٍ وَضَلَالٍ ، وَلِهٰذَا قَالَ : (وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا) ـ النساء ١٥٧ ـ أَيْ: وَمَا قَتَلُوهُ مُتَيَقِّنِينَ أَنَّهُ هُوَ ، بَلْ شَاكِّينَ مُتَوَهِّمِينَ ، قَالَ تَعَالَىٰ : (بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا) ـ النساء ١٥٨ ـ تفسير ابن كثير ٥٨٧/١ ـ .

الْمُشْرِكُونَ يُخَاصِمُونَ النَّبِيَّ ﷺ فِي أَمْرِ عِيسَىٰ

هٰذَا وَالْفِتْنَةُ لَمْ يُطْفَأْ فَتِيلُهَا فَبَقِيَتْ مُشْتَعِلَةً ، فَأَعْمَىٰ دُخَانُهَا الْقُلُوبَ وَضَلَّ بِسَبَبِهَا الْكَثِيرُ . فَعَنِ الرَّبِيعِ بْنِ أَنَسٍ الْبَكْرِيِّ ، أَحَدِ التَّابِعِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مُرْسَلًا قَالَ : إِنَّ النَّصَارَىٰ أَتَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَخَاصَمُوهُ فِي عِيسَىٰ بْنِ مَرْيَمَ ، وَقَالُوا لَهُ : مَنْ أَبُوهُ ؟ وَقَالُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَالْبُهْتَانَ . فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّهُ لَا يَكُونُ وَلَدٌ إِلَّا وَهُوَ يُشْبِهُ أَبَاهُ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا حَيٌّ لَا يَمُوتُ ، وَأَنَّ عِيسَىٰ يَأْتِي عَلَيْهِ الْفَنَاءُ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا قَيِّمٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ يَكْلَؤُهُ وَيَحْفَظُهُ وَيَرْزُقُهُ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : فَهَلْ يَمْلِكُ عِيسَىٰ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : أَفَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : فَهَلْ يَعْلَمُ عِيسَىٰ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئًا إِلَّا مَا عُلِّمَ ؟ قَالُوا : لَا . قَالَ : فَإِنَّ رَبَّنَا صَوَّرَ عِيسَىٰ فِي الرَّحِمِ كَيْفَ شَاءَ ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ ذٰلِكَ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ : أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ رَبَّنَا لَا يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَلَا يَشْرَبُ الشَّرَابَ وَلَا يُحْدِثُ الْحَدَثَ ؟ قَالُوا : بَلَىٰ . قَالَ :

أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ عِيسَى حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كَمَا تَحْمِلُ الْمَرْأَةُ، ثُمَّ وَضَعَتْهُ كَمَا تَضَعُ الْمَرْأَةُ وَلَدَهَا، ثُمَّ غُذِّيَ كَمَا تُغَذِّي الْمَرْأَةُ الصَّبِيَّ، ثُمَّ كَانَ يَطْعَمُ الطَّعَامَ، وَيَشْرَبُ الشَّرَابَ، وَيُحْدِثُ الْحَدَثَ (أي الحالة الناقضة للطهارة)؟ قَالُوا: بَلَى. قَالَ: فَكَيْفَ يَكُونُ هٰذَا إِلٰهًا كَمَا زَعَمْتُمْ؟ فَعَرَفُوا، ثُمَّ أَبَوْا إِلَّا جُحُودًا فَأَنْزَلَ تَعَالَى: (الٓمٓ ۝ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ) - أخرجه ابن جرير وابن حاتم كما في «الدر المنثور» من أول سورة آل عمران - (١ و ٢)

تَنْزِيهُ اللَّهِ تَعَالَى

بَيَّنَ اللَّهُ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ بِأَنَّهُ لَا يَنْبَغِي لَهُ الْوَلَدُ، وَكُلُّ شَيْءٍ فَقِيرٌ إِلَيْهِ، خَاضِعٌ ذَلِيلٌ لَدَيْهِ. قَالَ تَعَالَى: (وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۝ لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا ۝ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ۝ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ۝ وَمَا يَنۢبَغِي لِلرَّحْمَٰنِ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا ۝ إِن كُلُّ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِي ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ۝ لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ۝ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فَرْدًا) - مريم ٨٨/٩٥ -. وَقَدْ نَهَى اللَّهُ هٰؤُلَاءِ عَنِ التَّصَلُّبِ وَالْمُغَالَاةِ فِي الدِّينِ، فَأَبَوْا ذٰلِكَ وَعَانَدُوا إِلَى أَنْ جَاوَزُوا الْحَدَّ الشَّرْعِيَّ، وَدَخَلُوا حَلَقَةَ الطَّرْدِ وَالسَّخَطِ. قَالَ تَعَالَى: (يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا) - النساء ١٧١ -. كَلِمَتُهُ: بِشَارَتُهُ الَّتِي أَعْلَمَ وَأَخْبَرَ بِهَا حَضْرَةَ مَرْيَمَ، وَالْمُرَادُ بِكَلِمَةٍ رُوحٌ: أَيْ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَهُ بِالْكَلِمَةِ الَّتِي أَرْسَلَ بِهَا جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى حَضْرَةِ مَرْيَمَ، فَنَفَخَ فِيهَا مِنْ رُوحِهِ بِإِذْنِ اللَّهِ فَحَمَلَتْ بِحَضْرَةِ

عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَأُضِيفَتِ الرُّوحُ إِلَىٰ ٱللَّهِ عَلَىٰ وَجْهِ التَّشْرِيفِ. (مختصر تفسير الطبري ١٨٤). فَحَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدُ ٱللَّهِ وَرَسُولُهُ، حَمَلَتْ بِهِ العَذْرَاءُ مَرْيَمُ مِنْ دُونِ أَبٍ، كَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ حَضْرَةَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ دُونِ أَبٍ وَأُمٍّ، قَالَ تَعَالَىٰ: (إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ) ـ آل عمران ٥٩ ـ وَدَلَائِلُ ٱلْحُدُوثِ مِنْ وِلَادَتِهِ وَنَشْأَتِهِ وَأَكْلِهِ وَشُرْبِهِ وَنَوْمِهِ، وَمَا إِلَىٰ ذَٰلِكَ تُثْبِتُ لَهُ العُبُودِيَّةَ، وَتَنْفِي عَنْهُ الرُّبُوبِيَّةَ. وَخَصَائِصُ مُعْجِزَاتِهِ تَنْفِي عَنْ أُمِّهِ الرِّيبَةَ (سُوءَ الظَّنِّ بِهَا)، وَتُثْبِتُ لَهُ النُّبُوَّةَ وَلَهَا الصِّدِّيقِيَّةَ.

إِخْبَارُ حَضْرَةِ عِيسَىٰ بِمَجِيءِ حَضْرَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

بَشَّرَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَجِيءِ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ تَعَالَىٰ: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ) ـ الصف ٦ ـ وَذَٰلِكَ لِكَيْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيُصَدِّقُوهُ وَيَتَّبِعُوهُ.

خُرُوجُ ٱلدَّجَّالِ وَظُهُورُ الضَّلَالِ

- قُبَيْلَ نُزُولِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ آخِرَ الزَّمَانِ، يَخْرُجُ رَجُلٌ يَدَّعِي أَنَّهُ "ٱلْمَسِيحُ ٱلْمُنْتَظَرُ" وَلَكِنَّهُ ٱلْأَعْوَرُ ٱلدَّجَّالُ.
- قَالَ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ... وَإِنَّ قَبْلَ ٱلدَّجَّالِ ثَلَاثَ سَنَوَاتٍ شِدَادٌ، يُصِيبُ ٱلنَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ ٱللَّهُ السَّمَاءَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلْأُولَىٰ أَنْ تَحْبِسَ ثُلُثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ ٱلْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ ٱللَّهُ السَّمَاءَ فِي ٱلثَّانِيَةِ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ ٱلْأَرْضَ فَتَحْبِسُ ثُلُثَيْ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ ٱللَّهُ السَّمَاءَ فِي ٱلسَّنَةِ ٱلثَّالِثَةِ فَتَحْبِسُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تَقْطُرُ قَطْرَةٌ، وَيَأْمُرُ ٱلْأَرْضَ فَتَحْبِسُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءَ، فَلَا تَبْقَىٰ ذَاتُ

ظَلْفٍ (الاظلاف) إِلَّا هَلَكَتْ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ. قِيلَ: فَمَا يُعِيشُ النَّاسَ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ التَّهْلِيلُ وَالتَّكْبِيرُ وَالتَّسْبِيحُ وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ عَلَيْهِمْ مَجْرَى الطَّعَامِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

• يَكُونُ خُرُوجُهُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ. فِي رِوَايَةٍ: مِنْ خُرَاسَانَ، وَفِي رِوَايَةٍ: مِنْ أَصْبَهَانَ.

• عِنْدَ ظُهُورِ الدَّجَّالِ، يَدَّعِي الْإِيمَانَ وَالصَّلَاحَ أَوَّلًا، ثُمَّ يَدَّعِي النُّبُوَّةَ (أَيْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ)، ثُمَّ يَدَّعِي الْأُلُوهِيَّةَ (أَيْ أَنَّهُ إِلَهٌ).

• سُمِّيَ دَجَّالًا، لِأَنَّهُ يُرَوِّجُ الْبَاطِلَ وَيَكْرَهُ الْحَقَّ.

• يُسَمَّى أَيْضًا: "الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ"، وَلُقِّبَ بِالْمَسِيحِ لِأَنَّهُ مَمْسُوحُ الْعَيْنِ الْيُمْنَى، وَقِيلَ: لِأَنَّهُ يَقْطَعُ الْأَرْضَ فِي الْمُدَّةِ الْقَلِيلَةِ. وَقَدْ سَمَّاهُ حَضْرَةُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ (صلى الله عليه وسلم) "مَسِيحَ الضَّلَالَةِ" تَفْرِقَةً بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَيِّدِنَا عِيسَى الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• الدَّجَّالُ يَهُودِيٌّ، وَلَا يُولَدُ لَهُ.

• عَيْنُهُ الْيُمْنَى عَوْرَاءُ جَاحِظَةٌ (أَيْ نَاتِئَةٌ) لَا تَخْفَى، كَأَنَّهَا نُخَاعَةٌ (أَيْ بَلْغَمٌ) فِي حَائِطٍ مُجَصَّصٍ (أَيْ مَدْهُونٍ بِالْكِلْسِ)، فَهِيَ قَبِيحَةُ الْمَنْظَرِ.

• عَيْنُهُ الْيُسْرَى كَوَهَجِ النَّارِ.

• شَدِيدُ جُعُودَةِ الشَّعْرِ، جُعُودَةً مَكْرُوهَةً.

• مَعَهُ مِنْ كُلِّ لِسَانٍ (أَيْ يَتَكَلَّمُ جَمِيعَ اللُّغَاتِ).

• مَكْتُوبٌ عَلَى جَبْهَتِهِ: "كَافِرٌ"، يَقْرَأُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ أُمِّيٍّ وَكَاتِبٍ (أَيْ مُتَعَلِّمٍ)

• مَعَهُ مَلَكَانِ مِنَ ٱلْمَلَآئِكَةِ، يُشْبِهَانِ نَبِيَّيْنِ مِنَ ٱلْأَنْبِيَاءِ، وَاحِدٌ مِنْهُمَا عَنْ يَمِينِهِ، وَٱلْآخَرُ عَنْ شِمَالِهِ. فَيَقُولُ ٱلدَّجَّالُ: "أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ"؟ "أَلَسْتُ أُحْيِي وَأُمِيتُ"؟ فَيَقُولُ لَهُ أَحَدُ ٱلْمَلَكَيْنِ: "كَذَبْتَ"، مَا يَسْمَعُهُ أَحَدٌ مِنَ ٱلنَّاسِ إِلَّا صَاحِبُهُ (أَيْ: ٱلْمَلَكُ ٱلْآخَرُ)، فَيَقُولُ ٱلْمَلَكُ ٱلثَّانِي لِلْأَوَّلِ: "صَدَقْتَ"، فَيَسْمَعُهُ ٱلنَّاسُ، فَيَظُنُّونَ أَنَّمَا يُصَدِّقُ ٱلدَّجَّالَ، وَهَٰذَا مِنَ ٱلِاسْتِدْرَاجِ.

• إِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنَّ مَعَهُ جَنَّةً وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ عَنْ حُذَيْفَةَ رضي الله عنه قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ ٱللَّهِ ﷺ يَقُولُ: "إِنَّ ٱلدَّجَّالَ يَخْرُجُ وَإِنَّ مَعَهُ مَاءً وَنَارًا، فَأَمَّا ٱلَّذِي يَرَاهُ ٱلنَّاسُ مَاءً فَنَارٌ تُحْرِقُ، وَأَمَّا ٱلَّذِي يَرَاهُ ٱلنَّاسُ نَارًا، فَمَاءٌ بَارِدٌ عَذْبٌ، فَمَنْ أَدْرَكَ ذَٰلِكَ مِنْكُمْ، فَلْيَقَعْ فِي ٱلَّذِي يَرَاهُ نَارًا، فَإِنَّهُ مَاءٌ عَذْبٌ طَيِّبٌ" - صحيح مسلم ٢٩١٨ -

• يَخْرُجُ إِلَى ٱلدَّجَّالِ يَوْمَئِذٍ رَجُلٌ هُوَ خَيْرُ ٱلنَّاسِ، أَوْ مِنْ خَيْرِ ٱلنَّاسِ فَيَقُولُ لِلدَّجَّالِ: "أَشْهَدُ أَنَّكَ ٱلدَّجَّالُ ٱلَّذِي حَدَّثَنَا رَسُولُ ٱللَّهِ ﷺ حَدِيثَهُ"، فَيَقُولُ ٱلدَّجَّالُ لِأَتْبَاعِهِ: "أَرَأَيْتُمْ إِنْ قَتَلْتُ هَٰذَا ثُمَّ أَحْيَيْتُهُ، أَتَشُكُّونَ فِي ٱلْأَمْرِ"، فَيَقُولُونَ: "لَا". فَيَقْتُلُهُ ثُمَّ يُحْيِيهِ، فَيَقُولُ ٱلرَّجُلُ حِينَ يُحْيِيهِ: "وَٱللَّهِ مَا كُنْتُ فِيكَ قَطُّ أَشَدَّ بَصِيرَةً مِنِّي ٱلْآنَ"، ثُمَّ يَقُولُ ٱلرَّجُلُ: "يَا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ" (أَيْ لَا يَسْتَطِيعُ قَتْلَ أَحَدٍ مِنَ ٱلنَّاسِ)، فَيُرِيدُ ٱلدَّجَّالُ أَنْ يَقْتُلَهُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ، فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسِبُ ٱلنَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى ٱلنَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي ٱلْجَنَّةِ، وَهُوَ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ.

• مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: "أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ

(وَيَكُونَانِ مَيِّتَيْنِ)، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: "نَعَمْ". فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: "يَا بُنَيَّ اتَّبِعْهُ، إِنَّهُ رَبُّكَ".

• يَبْتَلِي اللَّهُ بِهِ الْعِبَادَ، وَيُقْدِرُهُ عَلَى أَشْيَاءَ، كَأَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ بِالْمَطَرِ فَتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فَتُنْبِتَ، فَيَسْتَفِيدَ مِنْ ذَلِكَ مَنْ يُصَدِّقُهُ، وَيَكُونَ الْأَمْرُ عَكْسَ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يُكَذِّبُهُ.

• مَعَ الدَّجَّالِ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي ضِيقٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مِحْنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَاخْتِبَارٌ، لِيَهْلِكَ الْمُرْتَابُ، وَيَنْجُوَ الْمُتَيَقِّنُ.

• لَا يُسَخَّرُ لِلدَّجَّالِ مِنَ الْمَطَايَا (مَا يُرْكَبُ مِنَ الدَّوَابِّ) إِلَّا الْحِمَارُ، عَرْضُ مَا بَيْنَ أُذُنَيْهِ أَرْبَعُونَ ذِرَاعًا.

• يُقِيمُ الدَّجَّالُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، يَوْمٌ كَسَنَةٍ، وَيَوْمٌ كَشَهْرٍ، وَيَوْمٌ كَجُمُعَةٍ، وَسَائِرُ الْأَيَّامِ كَالْأَيَّامِ الْعَادِيَّةِ.

• لَا يَسْتَطِيعُ الدَّجَّالُ الِاقْتِرَابَ أَوِ الدُّخُولَ إِلَى أَرْبَعَةِ مَسَاجِدَ: الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى، وَالطُّورِ.

• عِنْدَ وُصُولِهِ إِلَى مَشَارِفِ مَدِينَةِ الرَّسُولِ ﷺ، تَرْجُفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَيَبْقَى بِهَا الْمُؤْمِنُ الصَّادِقُ، فَلَا يُسَلَّطُ عَلَيْهِ الدَّجَّالُ.

• أَكْثَرُ مَنْ يَتَّبِعُ الدَّجَّالَ الْيَهُودُ وَالنِّسَاءُ.

• يَتَّبِعُ الدَّجَّالَ مِنَ الْيَهُودِ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَمَعَهُ السَّحَرَةُ، يَعْمَلُونَ الْحَجَائِبَ وَيُظْهِرُونَهَا لِلنَّاسِ فَيُضِلُّونَهُمْ بِهَا.

• يقتل الأعور الدجال من المسلمين ثلثا، ويهزم ثلثا ، ويبقى ثلث.

• يفر المسلمون من الدجال إلى جبل الدخان بالشام، فيأتيهم الدجال فيحاصرهم، فيشتد حصارهم ويجهدهم جهدا شديدا ، ثم ينزل حضرة عيسى المسيح عليه السلام عند الفجر.

نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وما فيه من أحداث

• ينزل حضرة عيسى عليه السلام، عند المنارة البيضاء، شرقي دمشق، لابسا حلتين فيهما صفرة خفيفة، فيكون على جمال في الملبس إلى جماله عليه السلام في الخلقة، واضعا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر (أي إذا حنى رأسه ظننت أنه يقطر ماء) وإذا رفعه تحدر (أي نزل) منه جمان كاللؤلؤ (الجمان هو خرز يبيض بماء الفضة)

• يكون نزول حضرة عيسى عليه السلام عند صلاة الفجر، فيصلي خلف أمير المسلمين، وهو الإمام المهدي عليه السلام كما جاءت به الأخبار. عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: أبشركم بالمهدي يبعث في أمتي على اختلاف من الناس وزلازل فيملأ الأرض قسطا وعدلا كما ملئت جورا وظلما ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض (أي أهل السماء وأهل الأرض) ويملأ الله قلوب أمة محمد غنى ، فلا يحتاج أحد إلى أحد ... الحديث." - مسند الإمام أحمد بن حنبل ، ٣/٥٠ -.

• يخير حضرة عيسى عليه السلام المسلمين بين إحدى ثلاث : أن يدعو الله ليبعث على الدجال وجنوده عذابا عظيما من السماء ليهلكوا فيه ، أو يدعوه ليخسف بهم الأرض، أو يسلط

عَلَيْهِمْ سِلَاحَ الْمُسْلِمِينَ، فَيَخْتَارُ الْمُسْلِمُونَ الثَّالِثَةَ.

• إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، أَعْطَى حَضْرَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْقُوَّةِ فِي نَفْسِهِ بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الْكُفَّارُ الْقُرْبَ مِنْهُ، وَمَنْ تَجَرَّأَ عَلَى ذَلِكَ صُعِقَ وَمَاتَ. وَهَذَا حِفْظٌ مِنَ اللَّهِ، وَإِظْهَارٌ لِكَرَامَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

• يُدْرِكُ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْأَعْوَرَ الدَّجَّالَ. وَعِنْدَمَا يَنْظُرُ الدَّجَّالُ إِلَيْهِ يُوَلِّي هَارِبًا، مِنْ عَظَمَةِ هَيْبَةِ النُّورِ الَّذِي وَهَبَهُ اللَّهُ لِسَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَيَقُولُ لَهُ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: "إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا"، فَيُدْرِكُهُ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ (مَدِينَةٌ بِفِلَسْطِينَ) فَيَقْتُلُهُ.

• بَعْدَ قَتْلِ الدَّجَّالِ، يَهْزِمُ اللَّهُ أَعْوَانَهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَتْرُكُ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاحِدًا مِنْهُمْ إِلَّا قَتَلَهُ. فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ (أَيْ يَخْتَفِي وَرَاءَهُ)، إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ (إِنْ كَانَ حَجَرًا أَوْ شَجَرًا أَوْ حَائِطًا أَوْ دَابَّةً) وَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ، هَذَا يَهُودِيٌّ وَرَائِي، تَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا شَجَرَ الْغَرْقَدِ (شَجَرَةٌ ذَاتُ شَوْكٍ) فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ فَلَا تَنْطِقُ.

• يُوحِي اللَّهُ إِلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنِّي قَدْ أَخْرَجْتُ عِبَادًا لِي لَا قُدْرَةَ وَلَا طَاقَةَ لِأَحَدٍ بِمُقَاتَلَتِهِمْ، فَحَرِّزْ عِبَادِي إِلَى الطُّورِ (أَيِ احْتَمُوا بِجَبَلِ الطُّورِ)، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَخْرُجُ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ، وَهُمْ أُمَّةٌ مِنَ النَّاسِ مَسْكَنُهُمْ فِي أَقْصَى الشَّرْقِ، فَيَطَأُونَ بِلَادَهُمْ، لَا يَأْتُونَ عَلَى شَيْءٍ إِلَّا أَهْلَكُوهُ، وَلَا يَمُرُّونَ عَلَى مَاءٍ إِلَّا شَرِبُوهُ، فَيَمُرُّ أَوَائِلُهُمْ عَلَى بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ بِفِلَسْطِينَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِيهَا، وَيَمُرُّ آخِرُهُمْ فَيَقُولُونَ: لَقَدْ كَانَ بِهَذِهِ مَرَّةً مَاءٌ. فَيَشْتَدُّ الْبَلَاءُ عَلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَأَتْبَاعِهِ، فَيَدْعُونَ اللَّهَ أَنْ يُفَرِّجَ عَنْهُمْ، فَيَسْتَجِيبُ

ٱللَّهُ لَهُمْ، وَيُرْسِلُ عَلَىٰ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ ٱلنَّغَفَ فِي رِقَابِهِمْ (وَهُوَ دُودٌ يَكُونُ فِي أُنُوفِ ٱلْإِبِلِ وَٱلْغَنَمِ) إِهَانَةً لَهُمْ بَعْدَ بَغْيِهِمْ فِي ٱلْأَرْضِ، فَيَمُوتُونَ عَنْ آخِرِهِمْ. وَتَجْوَىٰ ٱلْأَرْضُ مِنْ نَتَنِ رِيحِهِمْ فَيُنْزِلُ ٱللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ ٱلْمَطَرَ، فَيَجْرِفُ أَجْسَادَهُمْ فَيَقْذِفُهَا فِي ٱلْبَحْرِ.

• يُكْرِمُ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلْمُجَاهِدِينَ بِإِخْبَارِهِمْ بِقَتْلِ ٱلدَّجَّالِ، فَيَكْشِفُ مَا نَزَلَ بِهِمْ مِنَ ٱلْكَآبَةِ وَٱلْحُزْنِ.

• يَقْتُلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلْخِنْزِيرَ، وَيَكْسِرُ ٱلصَّلِيبَ، وَيَضَعُ ٱلْجِزْيَةَ، وَيَفِيضُ ٱلْمَالُ.

• يَدْعُو حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ٱلنَّاسَ إِلَىٰ ٱلْإِسْلَامِ، فَيُهْلِكُ ٱللَّهُ فِي زَمَانِهِ ٱلْمِلَلَ ٱلْكَافِرَةَ كُلَّهَا، وَيَبْقَىٰ ٱلْإِسْلَامُ.

• يَحُجُّ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَوْ يَعْتَمِرُ أَوْ يَجْمَعُهُمَا، ثُمَّ يَأْتِي قَبْرَ حَضْرَةِ ٱلنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَيُسَلِّمُ عَلَيْهِ، فَيَرُدُّ حَضْرَةُ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامَ، وَهَٰذَا مِنْ بَابِ ٱلْخَوَارِقِ وَٱلْمُعْجِزَاتِ.

• عِنْدَ نُزُولِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَا يَبْقَىٰ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَابِ أَرَادَ ٱللَّهُ لَهُ ٱلْخَيْرَ، إِلَّا آمَنَ بِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ.

• تَخْرُجُ ٱلْحَبَشَةُ بَعْدَ نُزُولِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِتُحَارِبَهُ، فَيَبْعَثُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ طَائِفَةً مِنْ أَتْبَاعِهِ تَهْزِمُ ٱلْحَبَشِيِّينَ.

• يَمْكُثُ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذَٰلِكَ ٱلزَّمَانِ بَيْنَ ٱلنَّاسِ أَرْبَعِينَ سَنَةً، وَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ. وَتَنْتَفِي ٱلْعَدَاوَةُ وَٱلْبَغْضَاءُ بَيْنَ ٱلنَّاسِ، وَتُؤْتِي ٱلْأَرْضُ خَيْرَاتِهَا، حَتَّىٰ أَنَّ ٱلْجَمَاعَةَ مِنَ ٱلنَّاسِ تَجْتَمِعُونَ عَلَى ٱلرُّمَّانَةِ فَتَشْبَعُهُمْ.

• يُصَلِّي عَلَيْهِ ٱلْمُسْلِمُونَ بَعْدَ مَوْتِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَيَدْفِنُونَهُ قُرْبَ رَسُولِ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

رِسَالَةُ
اَلْحُجَجِ اَلسَّاطِعَاتِ
فِي
كَشْفِ اَلتَّنَاقُضَاتِ

الحجج الساطعات في كشف التناقضات

لَمْ يَخْتَلِفْ قَوْمٌ فِي شَأْنِ نَبِيٍّ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ كَمَا اخْتَلَفَ النَّاسُ بِشَأْنِ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَلَمْ يَقَعْ جَدَلٌ حَوْلَ نُبُوَّةِ أَحَدٍ مِنَ الرُّسُلِ كَمَا وَقَعَ حَوْلَ نُبُوَّةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ يَتَكَلَّمُ عَلَى هَوَاهُ، وَإِذَا تَلَوْتَ عَلَيْهِ الْآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ الَّتِي فِيهَا الْقَوْلُ الْفَصْلُ، رَفَضَ الْإِيمَانَ بِمَا جَاءَ بِالْقُرْآنِ الْكَرِيمِ. لِذَلِكَ أَحْبَبْنَا أَنْ نُظْهِرَ لِلنَّاسِ بَعْضَ التَّنَاقُضَاتِ الَّتِي تَفَشَّتْ فِي اعْتِقَادِ فِئَاتٍ كَبِيرَةٍ مِنَ الْعِبَادِ، بِإِثْبَاتَاتٍ عَقْلِيَّةٍ، وَنُبَيِّنَ الْأَخْطَاءَ الِاعْتِقَادِيَّةَ الَّتِي سَادَتْ بَيْنَهُمْ، وَالَّتِي تُؤَدِّي إِلَى الْمَهَالِكِ وَغَضَبِ الْمَالِكِ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى. وَأَرَدْنَا أَنْ نُظْهِرَ الْحَقَّ مِنَ الضَّلَالِ فِي الِاعْتِقَادَاتِ الْفَاسِدَةِ الَّتِي حَاكَهَا أَعْدَاءُ حَضْرَةِ السَّيِّدِ الْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِكَيْدِهِمْ وَحَسَدِهِمْ، لِجَرِّ النَّاسِ إِلَى الْفِتْنَةِ، وَإِبْعَادِهِمْ عَنْ عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَحَشْرِهِمْ فِي نَارِ سَخَطِهِ. وَمَا هَذِهِ الْأَعْمَالُ إِلَّا حَلْقَةٌ مِنْ سِلْسِلَةٍ جَهَنَّمِيَّةٍ يَتَقَرَّبُ بِهَا أَعْدَاءُ الرُّسُلِ إِلَى شَيَاطِينِهِمْ، مُذْعِنِينَ (أي خاضعين) لَهُمْ بِالْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ. وَقَدْ بَدَأَتْ تِلْكَ الْعَدَاوَةُ مُنْذُ زَمَنٍ قَدِيمٍ، وَمَا زَالَتْ تَشْتَدُّ وَتَقْوَى حَتَّى بَلَغَتْ مَا بَلَغَتْهُ عَلَى أَيَّامِ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَنَنْصَحُ مَنْ أَرَادَ، حَقًّا، اتِّبَاعَ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَبْرَارِ، وَالِابْتِعَادَ عَنْ سَخَطِ الْجَبَّارِ، وَالنَّجَاةَ مِنَ النَّارِ، أَنْ يَعِيَ مَا نَقُولُ، وَيُؤْمِنَ بِالنَّبِيِّ مُحَمَّدٍ الْمُخْتَارِ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَذَلِكَ حَسَبَ مَا بَشَّرَ بِهِ السَّيِّدُ عِيسَى الْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صَحِيحِ الْأَخْبَارِ. وَلَا يَظُنَّنَّ أَحَدٌ أَنَّهُ حِينَمَا يَتَّبِعُ حَضْرَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا يَنْسَلِخُ عَنْ حُبِّهِ لِرَسُولِ اللهِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ وَيُصْبِحُ عَدُوًّا لَهُ بَلْ إِنَّ حُبَّهُ لَهُ سَيَزْدَادُ وَيَقْوَى بِبَرَكَةِ هَذَا الْإِيمَانِ. وَإِنَّ الْإِسْلَامَ لَيُوصِي بِالْإِيمَانِ بِالرُّسُلِ الْكِرَامِ مِنْ دُونِ تَفْرِيقٍ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ.

قَالَ تَعَالَىٰ : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ ـ البقرة ٢٨٥

آدِّعَاءُ ٱلْبَعْضِ ٱلُوهِيَّةَ حَضْرَةِ عِيسَىٰ ٱلْمَسِيحِ

إِنَّ أُمَمَ ٱلضَّلَالِ وَٱلْإِشْرَاكِ قَدْ زَخْرَفَتْ أَفْعَالَهَا بِفُنُونِ ٱلْمَكْرِ وَٱلْخُبْثِ، وَكَانَتْ تَتَلَوَّنُ فِي كُلِّ عَصْرٍ وَزَمَانٍ بِطُرُقٍ جَدِيدَةٍ بَشِعَةٍ شَنِيعَةٍ، فَكَانَتْ فِي هَٰذَا ٱلْمَيْدَانِ فِرَقًا مُنْحَرِفَةً وَمُحْتَرِفَةً فِي أَلْوَانِ ٱلضَّلَالِ، مِنْهَا مَنِ ٱتَّخَذَتِ ٱلْبَقَرَ إِلٰهًا لَهَا مِنْ دُونِ ٱللَّهِ، عَبَدَتْهَا وَجَعَلَتْهَا مِنَ ٱلْكَائِنَاتِ ٱلْمُقَدَّسَةِ وَحَرَّمَتْ ذَبْحَهَا، وَمِنْهَا مَنْ جَعَلَتْ مَعْبُودَهَا أَصْنَامًا مِنَ ٱلْمَعَادِنِ وَٱلْأَحْجَارِ مَنْحُوتَةً بِٱلْأَيْدِي أَوْ مِنَ ٱلتَّمْرِ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاعَ ٱلنَّاسُ ٱتَّخَذُوهَا زَادًا لَهُمْ، وَمِنْهَا مَنِ ٱتَّجَهَتْ لِعِبَادَةِ ٱلشَّمْسِ وَٱلْكَوَاكِبِ وَٱلنُّجُومِ، وَمِنْهَا مَنِ ٱتَّخَذَتِ ٱلصُّدْفَةَ خَالِقًا لِلْكَوْنِ فَلَمْ تُؤْمِنْ بِشَيْءٍ، وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنْ فُنُونِ ٱلضَّلَالَاتِ ٱلَّتِي جَعَلَ أَصْحَابُهَا أُمُورَ ٱلْعِبَادَةِ تِجَارَةً لَهُمْ يَتَسَابَقُونَ وَيَتَنَافَسُونَ فِي حَمْلِ لِوَاءِ ٱلْخُبْثِ وَٱلضَّلَالِ. هٰؤُلَاءِ وَأَمْثَالُهُمْ مِنَ ٱلَّذِينَ سَخَّرَهُمْ إِبْلِيسُ ٱللَّعِينُ لِنَشْرِ بِضَاعَةِ حِقْدِهِ وَحَسَدِهِ وَعَدَاوَتِهِ لِلّٰهِ وَرُسُلِهِ حَتَّىٰ إِذَا مَا أَتَمُّوا مُرَادَهُ، تَبَرَّأَ مِنْهُمْ، كَمَا أَخْبَرَ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُ بِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ: ﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ ـ الحشر ١٦

فَإِبْلِيسُ ٱللَّعِينُ تَكَادُ لَا تَنْفَدُ حِيَلُهُ، فَهُوَ لَمَّا رَأَىٰ أَنَّ فِكْرَةَ عِبَادَةِ ٱلْأَصْنَامِ لَمْ تَعُدْ وَحْدَهَا كَافِيَةً لِإِضْلَالِ ٱلنَّاسِ، بَعْدَ أَنْ تَيَقَّنَ كَثِيرُونَ بِأَنَّهَا لَا تَمْلِكُ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا، وَهَجَرُوهَا وَعَبَدُوا رَبَّهُمُ ٱلْوَاحِدَ ٱلْقَهَّارَ، لَجَأَ إِلَىٰ طَرِيقَةٍ أُخْرَىٰ لِإِغْوَاءِ ٱلنَّاسِ وَإِضْلَالِهِمْ

فَدَسَّ فِي أَذْهَانِهِمْ فِكْرَةَ تَجَسُّدِ الْإِلَهِ فِي صُورَةِ بَشَرٍ. هَذِهِ الْفِكْرَةُ الَّتِي وَقَعَ فِي شِبَاكِهَا كَثِيرُونَ مِنَ الَّذِينَ نَجَوْا مِنْ فِكْرَةِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ عَلَىٰ أَنَّ نِسْبَةَ الْأُلُوهِيَّةِ لِحَضْرَةِ عِيسَىٰ عليه السلام لَمْ تَكُنْ مَكِيدَةً جَدِيدَةً مِنْ مَكَائِدِ إِبْلِيسَ اللَّعِينِ، إِذْ قَدِ اسْتَعْمَلَهَا مِنْ قَبْلُ مَعَ النُّمْرُودِ فِي عَهْدِ حَضْرَةِ إِبْرَاهِيمَ الْخَلِيلِ عليه السلام، حَيْثُ أَقَامَ مِنَ النُّمْرُودِ إِلَهًا وَدَعَا إِلَىٰ عِبَادَتِهِ، وَكَذَٰلِكَ حَصَلَ فِي عَهْدِ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا مُوسَىٰ عليه السلام حَيْثُ ادَّعَىٰ فِرْعَوْنُ الْأُلُوهِيَّةَ.

وَلَمْ يَسْلَمْ مِنْ هَٰذِهِ الدَّعْوَةِ الضَّالَّةِ الْمُضِلَّةِ الْيَهُودُ الَّذِينَ زَعَمُوا بِأَنَّ حَضْرَةَ عُزَيْرٍ عليه السلام ابْنُ اللَّهِ. قَالَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ: **(وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ)** - التوبة: ٣٠ - لَقَدْ زَيَّنَ لَهُمْ شَيْطَانُهُمْ أَنَّ الْأُلُوهِيَّةَ خِلَافَةٌ يَتَنَاقَلُهَا النَّاسُ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِالِانْتِخَابِ، أَوْ يَحْصُلُ عَلَيْهَا الْإِنْسَانُ بِطَرِيقِ الْكَسْبِ، وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ مِنْ أَمْثَالِ هَٰذِهِ الْأَبَاطِيلِ وَالْخُزَعْبَلَاتِ وَالضَّلَالِ وَالْإِشْرَاكِ الْمُبِينِ.

اخْتِلَافُ النَّاسِ فِي شَأْنِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ الْمَسِيحِ عليه السلام

اخْتَلَفَ الْيَهُودُ وَمَنْ يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ أَتْبَاعِ حَضْرَةِ الْمَسِيحِ عليه السلام فِي شَأْنِ حَضْرَةِ الْمَسِيحِ عِيسَىٰ وَاضْطَرَبُوا وَتَوَزَّعُوا فِي مَذَاهِبِهِمْ بَيْنَ إِفْرَاطٍ وَتَفْرِيطٍ.

قَوْلُ الْيَهُودِ

الْيَهُودُ ادَّعَوْا أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عليه السلام «ابْنُ زِنَىٰ» لِأَنَّ الْوَلَدَ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَبٌ، وَالْمَسِيحُ

لَيْسَ لَهُ أَبٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ ابْنَ زِنَى ، وَجَحَدُوا مُعْجِزَاتِ اللَّهِ

أَقْوَالُ مُدَّعِي اتِّبَاعِ حَضْرَةِ عِيسَى

وَالنَّاسُ الَّذِينَ ادَّعَوْا اتِّبَاعَ حَضْرَةِ عِيسَى كَانُوا فِرَقًا ثَلَاثًا:

١- فِرْقَةٌ تَعْتَقِدُ بِأَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ لِأَنَّهُ خُلِقَ مِنْ رُوحِهِ كَمَا يَقُولُونَ .

٢- فِرْقَةٌ تَعْتَقِدُ بِأَنَّ الْمَسِيحَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ اللَّهُ ، وَلَكِنَّهُ تَجَسَّدَ فِي جِسْمِ "يَسُوعَ" وَنَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ لِيُخَلِّصَ النَّاسَ مِنْ خَطَايَاهُمْ .

٣- فِرْقَةٌ تَعْتَقِدُ بِعَقِيدَةِ التَّثْلِيثِ " الْأَقَانِيمِ الثَّلَاثَةِ": الْأَبِ، وَالِابْنِ وَرُوحِ الْقُدُسِ، وَأَنَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدٌ، وَالْوَاحِدَ ثَلَاثَةٌ.

الْجَوَابُ الشَّافِي

نَقُولُ لَهُمْ : مَنْ كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ وَالْخَلَاصَ مِنْ عَذَابِ نَارِ جَهَنَّمَ، فَلْيَسْتَمِعْ إِلَى قَوْلِنَا لِيَعْلَمَ مَا يَجِبُ فِي حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى، وَمَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّهِ سُبْحَانَهُ، لِيَنْجُوَ مِمَّا عَلِقَ فِيهِ مِنْ مُسْتَنْقَعِ الضَّلَالِ وَالْإِشْرَاكِ.

قَوْلُهُ: "الْمَسِيحُ ابْنُ زِنَى"

قَذَفَ الْيَهُودُ الْحَاقِدُونَ السَّيِّدَةَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِالزِّنَى، وَلَكِنَّ اللَّهَ بَرَّأَهَا بِقَوْلِهِ: (وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا) - النساء ١٥٦ - فَهِيَ الطَّاهِرَةُ الشَّرِيفَةُ. (إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) - آل عمران ٥٩ - فَخَلْقُهُ عَلَى الصُّورَةِ الَّتِي خُلِقَ بِهَا كَانَ مُعْجِزَةً وَآيَةً بَاهِرَةً مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، (إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) - يس ٨٢ -

قَوْلُهُ: "الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ"

إِنَّ مَنْ يَقُولُ إِنَّ حَضْرَةَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ابْنُ اللَّهِ، جَعَلَ اللَّهَ الَّذِي ابْتَدَعَ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْقَادِرَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، مُحْتَاجًا

إِلَىٰ وَلَدٍ، وَٱلْمُحْتَاجُ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ مُعِينٌ، وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ وَاحِدٌ أَحَدٌ، فَرْدٌ صَمَدٌ، يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُوَ لَا يَحْتَاجُ إِلَىٰ شَيْءٍ سُبْحَانَهُ. وَمَنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ، فَلَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ لَهُ خَالٌ أَوْ عَمَّةٌ أَوْ جَدَّةٌ وَأَقْرِبَاءُ آخَرُونَ، وَبِهَٰذَا يَكُونُونَ قَدْ نَسَبُوا لِلَّهِ تَعَالَىٰ ٱلْأُسْرَةَ وَٱلْأَقْرِبَاءَ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

ثُمَّ إِنْ كَانَ ٱلْوَلَدُ مُرَكَّبًا مِنْ لَحْمٍ وَعَظْمٍ، وَدَمٍ وَعُرُوقٍ، وَهُوَ يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، وَيَصِحُّ وَيَنَامُ، وَقَدْ خُلِقَ مِنَ ٱلْعَدَمِ وَيَطْرَأُ عَلَيْهِ ٱلْفَنَاءُ، فَلَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ صِفَاتُ وَالِدِهِ مُشَابِهَةً لِصِفَاتِهِ، وَهَٰذِهِ صِفَاتُ مَخْلُوقٍ عَاجِزٍ قَابِلٍ لِلْفَنَاءِ، وَهَٰذَا مَا يَسْتَحِيلُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، لِأَنَّ جَمِيعَ هَٰذِهِ ٱلصِّفَاتِ مَقْهُورَةٌ تَحْتَ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ. فَحَيَاةُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ كَحَيَاتِنَا، فَإِنَّ حَيَاتَنَا بِوَسَائِطَ كَجَرَيَانِ ٱلدَّمِ وَٱلنَّفَسِ، وَحَيَاةُ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ لَيْسَتْ بِوَاسِطَةِ شَيْءٍ، وَهِيَ قَدِيمَةٌ بَاقِيَةٌ لَا يَلْحَقُهَا ٱلْعَدَمُ وَٱلتَّغَيُّرُ أَصْلًا وَلَمْ تَحْدُثْ لَهُ حَيَاةٌ بَعْدَ مَوْتٍ لِأَنَّ ٱلَّذِي تَحْدُثُ لَهُ ٱلْحَيَاةُ أَوِ ٱلْمَوْتُ فَهُوَ مِنْ جِنْسِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ، قَابِلٌ لِلْمَوْتِ وَٱلْفَنَاءِ، وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ إِلَٰهًا. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ يُحْيِي ٱلْخَلْقَ وَيُمِيتُ ٱلْعِبَادَ وَيَسْتَحِيلُ أَنْ يَطْرَأَ عَلَيْهِ ٱلْمَوْتُ وَٱلْفَنَاءُ. وَٱللَّهُ وَاحِدٌ لَا شَرِيكَ لَهُ وَلَا نَظِيرَ، وَلَا مَثِيلَ وَلَا مُمَاثِلَ، وَلَا ضِدَّ وَلَا مُعَانِدَ.

• وَيَدَّعِي بَعْضُ ٱلْخُبَثَاءِ بِأَنَّ ٱلْمَقْصُودَ مِنْ قَوْلِهِمْ: "عِيسَىٰ ٱبْنُ ٱللَّهِ" أَيِ: ٱبْنُهُ ٱلرُّوحِيُّ وَلَيْسَ ٱلْجَسَدِيَّ، فَنَقُولُ لَهُمْ: "إِنَّ مَا تَفْتَرُونَهُ لَعَظِيمٌ، فَبَابُ ٱلتَّأْوِيلِ فِي قَوْلِكُمْ: "ٱبْنُ ٱللَّهِ" مَسْدُودٌ وَمَقْطُوعٌ، فَلَقَبُ: "ٱبْنُ ٱللَّهِ" لَا يَجُوزُ إِطْلَاقُهُ عَلَىٰ أَحَدٍ بِأَيِّ مَعْنًى أَوْ تَأْوِيلٍ كَانَ. وَلَقَبُ: "ٱلِٱبْنُ ٱلرُّوحِيُّ" يُطْلَقُ بَيْنَ شَخْصَيْنِ، كَتِلْمِيذٍ وَأُسْتَاذِهِ وَذَٰلِكَ لِفَرْطِ ٱلْمَحَبَّةِ بَيْنَهُمَا، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُطْلَقَ بَيْنَ ٱلْإِلَٰهِ وَٱلْمَخْلُوقِ

مَهْمَا بَلَغَتْ مَحَبَّةُ ٱللَّهِ لِلْعَبْدِ، وَمَهْمَا أَحَبَّ ٱلْإِنْسَانُ خَالِقَهُ ثُمَّ إِنَّ حَضْرَةَ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ عِنْدَمَا ظَهَرَ لَهَا حَضْرَةُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ وَحِيدَةٌ لِيَنْفُخَ فِي جَيْبِ دِرْعِهَا، وَلَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ بَعْدُ، خَافَتْ عَلَىٰ شَرَفِهَا وَعِفَّتِهَا، وَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهَا لَا وَالِدٌ وَلَا أَخٌ وَلَا قَرِيبٌ يُسَاعِدُهَا عَلَىٰ دَفْعِهِ عَنْهَا، فَٱسْتَعَانَتْ بِٱللَّهِ ٱلْقَادِرِ عَلَىٰ دَفْعِ ٱلشُّرُورِ عَنْ خَلْقِهِ قَائِلَةً: **(قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا)** ـ مريم ١٨ ـ. فَٱسْتَمَدَّتِ ٱلْقُوَّةَ مِنَ ٱللَّهِ، وَتَكَلَّمَتْ بِكُلِّ ثِقَةٍ وَإِيمَانٍ. وَهُنَا نُشِيرُ إِلَىٰ أَنَّهَا لَمْ تَقُلْ: «أَعُوذُ بِٱبْنِكَ يَا ٱللَّهُ»

قَوْلُهُ: «عِيسَىٰ هُوَ ٱللَّهُ»

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ هُوَ ٱللَّهُ، فَنَسْأَلُهُمْ كَيْفَ يَكُونُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ مِنْ جِنْسِ مَا خَلَقَ، أَيْ مِنْ لَحْمٍ وَدَمٍ، وَيُنْسَبُ إِلَيْهِ ٱلضَّعْفُ وَٱلْمَرَضُ وَٱلْمَوْتُ وَٱلْفَنَاءُ؟ وَمَنْ كَانَتْ تِلْكَ صِفَاتُهُ، فَهُوَ عَاجِزٌ وَقَاصِرٌ وَمُحْتَاجٌ إِلَىٰ مَنْ يُعِينُهُ وَيُسَاعِدُهُ، وَيَشْفِيهِ مِنَ ٱلْمَرَضِ، وَيَحْفَظُهُ عِنْدَ ٱلِابْتِلَاءِ، وَيُطْعِمُهُ إِذَا جَاعَ، وَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ مُنَزَّهٌ عَنْ جَمِيعِ صِفَاتِ ٱلنَّقْصِ وَٱلْعَجْزِ وَٱلِاسْتِعَانَةِ، وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ. وَكَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَٰهًا، وَقَدْ كَانَ مَحْصُورًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ مَغْلُوبًا عَلَىٰ أَمْرِهِ، يَتَغَذَّىٰ مِمَّا قَسَمَ لَهُ ٱللَّهُ فِي بَطْنِ ٱلسَّيِّدَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، وَقَدْ مَرَّ فِي مَرَاحِلِ حَيَاتِهِ مِنْ طُفُولَةٍ إِلَىٰ شَبَابٍ؟ هَٰذَا مُسْتَحِيلٌ فِي حَقِّ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ. وَنَسْأَلُهُمْ أَيْضًا: فِي ٱلْفَتْرَةِ ٱلَّتِي كَانَ يَتَكَوَّنُ فِيهَا حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، مَا كَانَ أَمْرُ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا؟ وَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ تُتْرَكَ هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا بِأَرْضِهَا وَسَمَاوَاتِهَا، وَبَرِّهَا وَبَحْرِهَا، وَإِنْسِهَا وَجِنِّهَا بِدُونِ إِلَٰهٍ عَظِيمٍ يُدَبِّرُ أُمُورَهَا؟ وَهَلْ يَقْبَلُ ٱلْعَقْلُ ٱلسَّلِيمُ بِأَنْ يَكُونَ خَالِقُ هَٰذَا ٱلْكَوْنِ

بعجائبه وغرائبه وعظماته، قد اتخذ بطن امرأة مكاناً له؟ سبحانه وتعالى عما يقولون علواً كبيراً. فالله عز وجل لا يتجسد في خلقه، ولا يحل في الأمكنة لأن ذلك من صفة المحتاجين للأمكنة، والله خلق الأمكنة والأزمنة والسموات والأرض، ولا يحتاج إلى مكان ولا إلى محل، لأنه كان قبل المكان وسيفنى المكان عن قريب، ويبقى الله كما كان بلا كيف ولا مكان.

عقيدة التثليث

من أعجب العجب ما نقرؤه ونسمعه من بعض الذين يدّعون اتباع حضرة عيسى عليه السلام، اعتقادهم وإيمانهم بما يُعرف بعقيدة التثليث التي اختلفوا في تفسيرها وتوزّعوا في ذلك مذاهب شتّى، ويعبّرون عنها بالأقانيم الثلاثة (أي الأصول الثلاثة)

• فمنهم من يعبّر عن الأقانيم الثلاثة بالأب والابن وروح القدس ويعنون بالأب: الوجود، وبالروح: الحياة، وبالابن: المسيح.

• وقسم آخر يقول: المراد بذلك أن الآلهة ثلاثة: الله سبحانه وتعالى، ومريم، وعيسى عليه السلام، وقد ورد بالقرآن الكريم أن مدّعي اتباع حضرة عيسى عليه السلام يقولون إن الله والمسيح ومريم ثلاثة آلهة، قال تعالى: (لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلثة وما من إله إلا إله واحد) ـ المائدة ٧٣ ـ

• وقسم يجعل الله سبحانه جوهراً واحداً، وله ثلاثة أقانيم، ويعنون بالأقانيم: أقنوم الوجود، وأقنوم الحياة، وأقنوم العلم والذي يتحصّل منه أنهم أثبتوا ذاتاً موصوفة بصفات ثلاثة إلا أنهم وإن سمّوها صفات فهي في الحقيقة ذوات[1]، بدليل أنهم يجوّزون عليها الحلول في حضرة عيسى ومريم، وهذا كفر محض.

(١) ذوات اي تدل على أشخاص)

• وَفَرِيقٌ يَقُولُ بِأَنَّهُمْ يَعْنُونَ بِالْأَبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ، أَنَّ الثَّلَاثَةَ وَاحِدٌ، وَأَنَّ الْوَاحِدَ ثَلَاثَةٌ، وَهَذَا مَا يُفْهَمُ مِنْ قَوْلِهِمْ: "بِسْمِ الْأَبِ وَالِابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ إِلَهٌ وَاحِدٌ، آمِينَ".

عَقِيدَةُ التَّثْلِيثِ هَذِهِ، عَلَى تَوَزُّعِ أَهْوَائِهِمْ فِي تَفْسِيرِهَا، تُخَالِفُ مَا جَاءَ بِهِ حَضْرَةُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ رَبِّهِ مِنْ تَنْزِيهِ اللَّهِ وَتَوْحِيدِهِ. ثُمَّ إِنَّ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ وَالْقُرْآنَ تَرْفُضُ مِثْلَ هَذِهِ الْأَقْوَالِ الْفَاسِدَةِ. فَالتَّلَاعُبُ بِالْأَلْفَاظِ وَالْأَقْوَالِ يُتْقِنُهُ الْمَشْعُوذُونَ الَّذِينَ يُصْغُونَ بِسَمْعِهِمْ لِمَا يُوَسْوِسُهُ الشَّيْطَانُ الَّذِي زَيَّنَ لَهُمْ سُوءَ أَعْمَالِهِمْ وَافْتِرَاءَاتِهِمْ، إِذْ كَيْفَ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ الْوَاحِدُ ثَلَاثَةً وَالثَّلَاثَةُ وَاحِدًا؟ فَالْمُعَادَلَةُ الَّتِي يَعْرِفُهَا الْكَبِيرُ وَالصَّغِيرُ هِيَ أَنَّ "١ + ١ + ١ = ٣"، فَكَيْفَ يَصِيرُ الْوَاحِدُ ثَلَاثَةً، وَالثَّلَاثَةُ وَاحِدًا؟ وَإِذَا طَلَبْتَ مِنْهُمْ تَعْلِيلًا مَنْطِقِيًّا قَالُوا: "إِنَّ مَعْرِفَةَ هَذَا فَوْقَ الْعَقْلِ، وَلَا يَجُوزُ إِعْمَالُ الْفِكْرِ فِيهِ". إِلَّا أَنَّ هَذَا الِادِّعَاءَ يُسَمَّى بِالْحُلُولِ، وَهُوَ يَعْنِي عِنْدَهُمْ أَنَّ اللَّهَ يَحِلُّ بِالْأَشْيَاءِ فَتُصْبِحُ مَعَهُ شَيْئًا وَاحِدًا، وَيُؤَدِّي هَذَا بِزَعْمِهِمْ إِلَى أَنَّ اللَّهَ إِذَا حَلَّ بِأَيِّ شَيْءٍ، يَصِيرُ ذَلِكَ الشَّيْءُ إِلَهًا مَعْبُودًا، وَهَكَذَا... وَمَا هَذَا إِلَّا تَخْبِيصٌ وَافْتِرَاءٌ وَجَهْلٌ بِمَا يَجُوزُ عَلَى اللَّهِ وَمَا يَسْتَحِيلُ بِحَقِّهِ سُبْحَانَهُ، وَهُمْ بِفِعْلَتِهِمْ هَذِهِ قَدِ افْتَرَوْا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَنَسَبُوا إِلَيْهِ مَا لَا يَلِيقُ بِعَظَمَةِ الرُّبُوبِيَّةِ، إِذْ بَدَّلُوا اسْمَ اللَّهِ وَاصْطَنَعُوا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ لَقَبًا لَا يَلِيقُ بِعَظِيمِ سُلْطَانِ اللَّهِ، هُوَ كَوْنُهُ أَبًا لِأَحَدِ أَنْبِيَائِهِ، وَهَذَا مِنَ الضَّلَالِ الْمُبِينِ وَجَزَاؤُهُمْ وَعِقَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى. قَالَ اللَّهُ تَعَالَى مُؤَنِّبًا أَمْثَالَ هَؤُلَاءِ، وَمُظْهِرًا سُوءَ ضَلَالِهِمْ وَكُفْرِهِمْ وَإِشْرَاكِهِمْ: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ

إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿النساء ١٧١﴾

أَيْ: فَٱنْتَهُوا عَمَّا تَقُولُونَ مِنَ ٱلزُّورِ وَٱلشِّرْكِ بِٱللَّهِ، فَإِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ مِنْ عَاقِبَةِ ٱلْعَاجِلِ وَٱلْآجِلِ، فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْإِلَٰهُ ٱلْمَعْبُودُ ٱلْوَاحِدُ لَا وَلَدَ لَهُ وَلَا وَالِدَ، إِذْ لَا بُدَّ لِلْوَلَدِ أَنْ يَكُونَ شَبِيهًا بِٱلْوَالِدِ، وَلَا مُشْبِهَ لِلَّهِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ ـ الإخلاص ١ ـ ٤ ـ، وَلِأَنَّ ٱتِّخَاذَ ٱلْوَلَدِ إِنَّمَا يَكُونُ لِأَغْرَاضٍ دُنْيَوِيَّةٍ لَا تَجُوزُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، مِنْ سُرُورِ ٱلْأَبِ بِوَلَدِهِ وَٱسْتِعَانَتِهِ بِهِ، وَٱتِّخَاذِهِ كَذِكْرٍ جَمِيلٍ بَعْدَ وَفَاتِهِ ...، فَكُلُّ ذَٰلِكَ لَا يَلِيقُ بِهِ سُبْحَانَهُ، لَهُ جَمِيعُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَاتِ وَٱلْأَرْضِ، وَهُوَ خَالِقُ ٱلنُّورِ وَٱلضِّيَاءِ، وَٱلْقَمَرِ وَٱلشَّمْسِ وَٱلسَّمَاءِ، وَٱلْأَرْضِ وَٱلْبِحَارِ وَمَا فِيهَا مِنْ أَحْيَاءٍ.

قَوْلُهُمْ بِأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ صُلِبَ

تَتَجَرَّأُ فِئَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ ٱلنَّاسِ عَلَى ٱلْقَوْلِ بِأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ صُلِبَ وَكَانَ مَغْلُوبًا عَلَى أَمْرِهِ، مَقْهُورًا مِنْ خَلْقِهِ. فَهَٰذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ وَمُتَنَاقِضٌ لَا يَقْبَلُ بِهِ مَنْ كَانَ عِنْدَهُ ذَرَّةُ فَهْمٍ وَإِدْرَاكٍ. وَأَمَّا مَنْ عِنْدَهُ شَيْطَنَةٌ فَلَا يَسْتَمِعُ إِلَّا لِهَوَىٰ نَفْسِهِ، وَلِمَآرِبِ شَيْطَانِهِ وَشَرِّهِ وَخُبْثِهِ، وَإِلَىٰ مَا يُوَسْوِسُ بِهِ عُظَمَاؤُهُمْ. إِنَّ ٱللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لَيْسَ بِبَشَرٍ حَتَّىٰ يُصْلَبَ، فَجَمِيعُ ٱلْخَلْقِ مَقْهُورُونَ تَحْتَ عَظَمَتِهِ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ، قَادِرٌ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ، وَلَا يَقْدِرُ عَلَيْهِ شَيْءٌ مَهْمَا بَلَغَ مِنْ عِلْمٍ وَقُوَّةٍ وَمَكْرٍ وَخِدَاعٍ وَبَطْشٍ. وَهُوَ لَيْسَ مِنْ صِنْفِ ٱلْأَشْيَاءِ حَتَّىٰ يُمْسَكَ وَيُقْبَضَ عَلَيْهِ، فَلَا شَيْءَ يُشْبِهُهُ وَلَا مَثِيلَ لَهُ.

قولهم: تجسد الله بشخصية عيسى المسيح عليه السلام تواضعاً

ومن هؤلاء من يقول: إن الله قد تجسد بشخصية المسيح تواضعاً منه، وذلك ليصلح أمور البشر فيما بينهم، وقد قبل أن يصلب، وذلك كي يعم السلام والمحبة والأخوة بين جميع البشر!؟ وهذا عين الضلال والكفر والخسران.

• أولاً، إذا نظرنا إلى أسماء الله تعالى، فلا نرى بين أسمائه أو صفاته سبحانه "المتواضع"، وذلك لأن التواضع هو من صفات المخلوقين الضعفاء لعظيم قدرة الله تعالى، ولا يجوز أن يكون الله مفتقراً لوسيلة كهذه.

وقد غاب عن أذهانهم أن القوة لله جميعاً، وهو سبحانه قادر على أن يتوب على من شاء من عباده ويغفر لمن يشاء، ويهدي من يشاء، بعظمة أمره ولطف قدرته، وبأسرار قوله كن فيكون. فعلى أصحاب هذه الأقوال السقيمة أن ينتبهوا ويلاحظوا ما يقعون فيه من متاهات وضلالات عقائدية وفساد وأخطاء مميتة مهلكة تؤدي بهم إلى الخلود في نار جهنم وبئس المصير. فليعلموا أن الله ليس بحاجة لأحد من عباده مهما كانت صفاته وقدراته، وهو سبحانه قادر على إفنائهم وإعادتهم من جديد.

• ثم إن الصعود والهبوط والتنقل من صفات المخلوقين وهي لا تتم إلا في أماكن مخلوقة أيضاً. ويكونون بافترائهم قد جعلوا الله بحاجة إلى مكان مخلوق ينتقل فيه، وبهذا يكون الخالق محتاجاً للمخلوق، وهذا عين الخطأ والضلال الذي قام بترويجه أعداء حضرة عيسى عليه السلام من اليهود

ٱلَّذِينَ أَرَادُوا تَشْوِيهَ مَا كَانَ عَلَيْهِ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ تَوْحِيدٍ وَتَنْزِيهِ ٱلْإِلَٰهِ، وَتَوَاضُعِهِ وَعِبَادَتِهِ وَسُجُودِهِ لِمَوْلَاهُ. فَإِنَّ تِلْكَ ٱلْأَبْوَابَ ٱلْخَبِيثَةَ إِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ ٱللَّعِبِ فِي أُمُورِ ٱلدِّينِ، وَسُلُوكِ مَنَافِذِ ٱلْمُضِلِّينَ، وَنَيْلِ مَآرِبِ ٱلشَّيَاطِينِ.

مَعْنَىٰ: "رُوحُ ٱللَّهِ"

تَشَابَهَ عَلَىٰ ٱلنَّاسِ قَوْلُ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ: (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا) ـ الأنبياء ٩١ ـ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: (إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ) ـ النساء ١٧١ ـ فَظَنَّ ٱلْبَعْضُ أَنَّ ٱللَّهَ رُوحٌ ٱنْقَسَمَتْ فَكَانَ مِنْهَا حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، سُبْحَانَ رَبِّي، إِنْ هَٰذَا إِلَّا ضَلَالٌ مُبِينٌ. إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُسَمَّىٰ رُوحًا، وَٱلْأَرْوَاحُ خَلَقَهَا ٱللَّهُ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ مَوْجُودَةً، وَهِيَ أَنْوَاعٌ:

- ٱلْأَرْوَاحُ ٱلطَّاهِرَةُ ٱلشَّرِيفَةُ ٱلزَّكِيَّةُ ٱلْمَمْلُوءَةُ بِٱلْأَنْوَارِ وَٱلْبَرَكَاتِ وَٱلْجَمَالِ وَٱلْكَمَالِ، وَٱلْعُلُومِ وَٱلْأَسْرَارِ، وَٱلْقُوَّةِ ٱلْخَارِقَةِ ٱلْمُؤَيَّدَةِ بِٱلْمُعْجِزَاتِ، وَٱلْمَعُونَةِ مِنَ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ، وَٱلْمُسْتَمِدَّةِ ٱلْوَحْيَ مِنَ ٱللَّهِ بِوَاسِطَةِ ٱلْمَلَكِ ٱلْعَظِيمِ حَضْرَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَمِثْلُ هَٰذِهِ ٱلْأَرْوَاحِ مُخَصَّصَةٌ لِلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ، وَمِنْهُمْ حَضْرَةُ مَوْلَانَا وَسَيِّدُنَا عِيسَى ٱلْمَسِيحُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ٱلَّذِي سَيَظْهَرُ فِي آخِرِ ٱلزَّمَانِ، نَفَعَنَا ٱللَّهُ مِنْ رَحِيقِ بَرَكَاتِهِ وَنَظَرَاتِهِ ٱلْقُدْسِيَّةِ، آمِينَ.
- ٱلْأَرْوَاحُ ٱلْخَبِيثَةُ ٱلَّتِي مِنْهَا ٱلْجِنُّ ٱلْكَافِرُ، وَٱلشَّيَاطِينُ ٱلْمَكَّارَةُ.
- أَرْوَاحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ.

وَقَدْ قَالَ ٱلْمُفَسِّرُونَ رَحِمَهُمُ ٱللَّهُ عَنْ مَعْنَىٰ قَوْلِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أَيْ مِنْ خَلْقِهِ، كَمَا يُقَالُ فِي ٱلنِّعْمَةِ أَنَّهَا مِنَ ٱللَّهِ. وَٱلْإِضَافَةُ هُنَا لِلتَّفْضِيلِ، وَإِنْ كَانَ جَمِيعُ ٱلْأَرْوَاحِ مِنْ خَلْقِ ٱللَّهِ تَعَالَىٰ.

• وَقِيلَ: مَعْنَىٰ (وَرُوحٌ مِّنْهُ) أَيْ: رَحْمَةٌ مِنْهُ وَبُرْهَانٌ، لِأَنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَرْسَلَ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَحْمَةً مِنْهُ لِلْعِبَادِ يُرْشِدُهُمْ إِلَىٰ مَصَالِحِهِمْ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ، وَبُرْهَانًا وَحُجَّةً عَلَىٰ قَوْمِهِ.

• وَأَوْرَدَ بَعْضُهُمْ أَنَّهُ جَرَتْ عَادَةُ ٱلنَّاسِ أَنَّهُمْ إِذَا وَصَفُوا شَيْئًا بِغَايَةِ ٱلطَّهَارَةِ وَٱلنَّظَافَةِ قَالُوا: "إِنَّهُ رُوحٌ"، فَلَمَّا كَانَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمْ يَتَكَوَّنْ مِنْ نُطْفَةِ ٱلْأَبِ وَإِنَّمَا تَكَوَّنَ مِنْ نَفْخَةِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِإِذْنِ ٱللَّهِ، وُصِفَ بِأَنَّهُ رُوحٌ. وَٱلْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ: (مِنْهُ) ٱلتَّشْرِيفُ وَٱلتَّفْضِيلُ، كَمَا يُقَالُ: هَٰذِهِ نِعْمَةٌ مِنَ ٱللَّهِ أَيْ: كَامِلَةٌ وَشَرِيفَةٌ.

• وَقَدْ يَكُونُ ٱلرُّوحُ هُنَا هُوَ بِمَعْنَىٰ "ٱلنَّفْخِ" فِي كَلَامِ ٱلْعَرَبِ. فَالرُّوحُ عِبَارَةٌ عَنْ نَفْخَةِ جِبْرِيلَ، وَقَوْلُهُ: (مِنْهُ) يَعْنِي أَنَّ ذَٰلِكَ ٱلنَّفْخَ مِنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بِأَمْرِ ٱللَّهِ وَإِذْنِهِ، فَهُوَ "مِنْهُ". فَيَكُونُ ٱلْمَعْنَىٰ: إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَىٰ بْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَسُولُ ٱللَّهِ وَبِشَارَتُهُ إِلَىٰ حَضْرَةِ مَرْيَمَ عَلَيْهَا السَّلَامُ، خُلِقَ بِوَاسِطَةِ نَفْخَةٍ مِنْ جِبْرِيلَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ

إِدِّعَاءُ ٱلْبَعْضِ تَحَمُّلَ حَضْرَةِ عِيسَى ٱلْمَسِيحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُنُوبَ ٱلْمُذْنِبِينَ

إِنَّ ٱلْعَدْلَ أَسَاسٌ عَظِيمٌ مِنَ ٱلْأُسُسِ ٱلَّتِي قَامَتْ عَلَيْهَا حَيَاةُ ٱلْبَشَرِيَّةِ، إِذْ بِهِ يَطْمَئِنُّ ٱلْخَلْقُ عَلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ وَمُمْتَلَكَاتِهِمْ، وَبِفُقْدَانِ ٱلْعَدْلِ تَخْتَلُّ ٱلْأَنْظِمَةُ، وَتَعُمُّ ٱلْفَوْضَىٰ، وَيَخْسَرُ ٱلْمُجْتَمَعُ ٱلْبَشَرِيُّ ٱلْكَثِيرَ مِنْ مُقَوِّمَاتِهِ. لِذَٰلِكَ كَانَ ٱلْعَدْلُ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْمُهِمَّةِ ٱلَّتِي ٱهْتَمَّتْ بِهَا ٱلشَّرَائِعُ ٱلْوَضْعِيَّةُ، وَسَنَّتِ ٱلْقَوَانِينَ ٱلْحَازِمَةَ ٱلَّتِي تُبَيِّنُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْؤُولٌ عَنْ عَمَلِهِ، وَلَا يُؤْخَذُ بِجَرِيرَةِ غَيْرِهِ، وَلَا يُحَاسَبُ إِلَّا بِمَا جَنَتْ يَدَاهُ. وَلَوْ ذَهَبْنَا نَسْتَقْصِي تِلْكَ ٱلْقَوَانِينَ لَمَلَأْنَا مُجَلَّدَاتٍ وَمُجَلَّدَاتٍ. وَرَغْمَ وُضُوحِ هَٰذِهِ ٱلْقَوَانِينِ، نَجِدُ ٱلْبَعْضَ

يَرْتَكِبُ مَا يَرْتَكِبُهُ مِنْ مُوبِقَاتٍ كَالزِّنَا وَالْقَتْلِ وَالسَّرِقَةِ، وَأَبْشَعِ أَنْوَاعِ الْمُحَرَّمَاتِ وَالْمَعَاصِي وَالذُّنُوبِ وَالظُّلْمِ وَالْخَبَائِثِ، ثُمَّ يُلْصِقُونَ كُلَّ ذَلِكَ بِحَضْرَةِ عِيسَىٰ عليه السلام مُدَّعِينَ أَنَّهُ يَتَحَمَّلُ آثَامَهُمْ عَنْهُمْ، وَأَنَّهُ قَدْ قَاسَىٰ مِنْ أَعْدَاءِ اللَّهِ، أَلْوَانًا مِنَ الضَّرْبِ وَالإِهَانَاتِ وَالتَّقْبِيحِ، وَالصَّلْبِ، وَتَعْلِيقِ جَسَدِهِ الشَّرِيفِ بِالْمَسَامِيرِ تَحْتَ أَشِعَّةِ الشَّمْسِ الْمُحْرِقَةِ، وَذَلِكَ لِيُخَلِّصَهُمْ مِمَّا وَقَعُوا فِيهِ مِنْ مُخَالَفَةِ أَوَامِرِ اللَّهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا عَيْنُ الظُّلْمِ وَالْفَوْضَىٰ. فَهَلْ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ يُؤَاخَذَ الإِنْسَانُ بِجَرِيمَةِ غَيْرِهِ؟ وَمَنْ مِنَّا يَرْضَىٰ أَنْ يُحَاسَبَ عَنْ عُقُوبَةِ الْقَتْلِ أَوِ الزِّنَا أَوِ السَّرِقَةِ الَّتِي اقْتَرَفَهَا أَخُوهُ؟ مَنْ يَرْضَىٰ أَنْ يُعَلَّقَ بِمَسَامِيرَ، وَيُصْلَبَ وَيُهَبَّشَ لَحْمُهُ حَتَّىٰ يَمُوتَ، دِفَاعًا عَنْ مَعَاصِي غَيْرِهِ؟ فَلْيَتَقَدَّمْ وَلْيُبَيِّنْ ذَلِكَ. فَالْمَنْطِقُ السَّلِيمُ وَالْعَقْلُ الرَّشِيدُ يَحْكُمَانِ بِأَنَّ الْعُقُوبَةَ إِنَّمَا تَحِلُّ بِالْفَاعِلِ الْمُجْرِمِ فَقَطْ. وَلَكِنَّ ذَا التَّفْكِيرِ السَّقِيمِ، وَضَعِيفَ الْعَقْلِ وَنَاقِصَهُ، يَرَىٰ رَأْيًا مُخَالِفًا. وَلَا نَرَىٰ فِي ذَلِكَ إِلَّا تَشْجِيعًا لِلنَّاسِ فِي الْهُجُومِ عَلَى الْمَزِيدِ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْعِصْيَانِ، وَإِقْبَالًا بِهَرْوَلَةٍ مِنَ النَّفْسِ الشِّرِّيرَةِ لِتَلْبِيَةِ نِدَاءِ الشَّيْطَانِ وَلإِفْسَادِ الْبَشَرِيَّةِ، وَالانْحِرَافِ عَنْ أَوَامِرِ الرَّبِّ الْخَالِقِ، وَكَسْبِ غَضَبِهِ. وَذَلِكَ الانْحِرَافُ الْبَشِعُ، بِإِلْصَاقِ مَا فَعَلُوهُ بِحَضْرَةِ عِيسَىٰ عليه السلام، مَا هُوَ إِلَّا مِنْ مَرَضِ نُفُوسِهِمُ الْعَلِيلَةِ الْمُقْبِلَةِ عَلَىٰ جَرْعِ الْمَعَاصِي وَالْمُحَرَّمَاتِ، وَعِلَلِ الْقُلُوبِ الْعَاشِقَةِ لِلرَّذِيلَةِ وَالْفَسَادِ، ظَانِّينَ أَنَّهُمْ بِذَلِكَ يَفِرُّونَ مِنْ حِسَابِ اللَّهِ وَيَنْجُونَ مِنْ عِقَابِهِ، وَلَمْ يَأْتِ بِذَلِكَ كِتَابٌ مُنَزَّلٌ وَلَا رَسُولٌ مُرْسَلٌ. إِنَّ اللَّهَ يُرْسِلُ الرُّسُلَ مُنْذِرِينَ، وَلَا يُرْسِلُهُمْ لِيُشَجِّعُوا النَّاسَ عَلَىٰ مُخَالَفَةِ أَوَامِرِهِ، وَلِيَسْبَحُوا فِي أَمْوَاجِ الرَّذِيلَةِ. فَهُمْ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ، رُسُلُ هِدَايَةٍ يُعَلِّمُونَ الْعِبَادَ التَّوْبَةَ، وَالإِنَابَةَ إِلَى اللَّهِ، وَهَجْرَ

ٱلْمُخَالَفَاتِ، وَٱلْإِقْبَالَ عَلَى ٱلطَّاعَاتِ. وَمِمَّا يَجْدُرُ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ ٱعْتِقَادَ ٱلْبَعْضِ بِتَحَمُّلِ ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ عليه السلام لِذُنُوبِهِمْ مُخَالِفٌ لِمَا جَاءَ فِي «سِفْرِ ٱلتَّثْنِيَةِ» عِنْدَهُمْ، إِذْ وَرَدَ فِيهِ: «لَا يُقْتَلُ ٱلْآبَاءُ عَنِ ٱلْأَوْلَادِ، وَلَا يُقْتَلُ ٱلْأَوْلَادُ عَنِ ٱلْآبَاءِ، كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيَّتِهِ يُقْتَلُ ...». قَالَ تَعَالَى: **(وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَآ أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ وَٱلْأَنفَ بِٱلْأَنفِ وَٱلْأُذُنَ بِٱلْأُذُنِ وَٱلسِّنَّ بِٱلسِّنِّ وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ)** ـ المائدة ٤٥ ـ أَيْ: وَفَرَضْنَا عَلَى ٱلْيَهُودِ فِي ٱلتَّوْرَاةِ أَنَّ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا ظُلْمًا، قُتِلَ بِهَا قِصَاصًا، وَمَنْ فَقَأَ عَيْنًا فُقِئَتْ عَيْنُهُ (أَيْ فُلِعَتْ)، وَمَنْ جَدَعَ أَنْفًا جُدِعَ أَنْفُهُ (أَيْ قُطِعَ)، وَمَنْ قَطَعَ أُذُنًا قُطِعَتْ أُذُنُهُ، وَمَنْ قَلَعَ سِنًّا قُلِعَتْ سِنُّهُ، وَمَنْ جَرَحَ غَيْرَهُ ظُلْمًا، ٱقْتُصَّ مِنْهُ مِثْلَ ٱلْجُرْحِ. (مختصر تفسير الطبري ص٤٠٠). وَقَالَ تَعَالَى: **(وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ)** أَيْ: لَا تَحْمِلُ نَفْسٌ إِثْمَ نَفْسٍ أُخْرَى، وَلَكِنَّهَا تُعَاقَبُ بِإِثْمِهَا دُونَ إِثْمِ غَيْرِهَا (مختصر تفسير الطبري ص٤٥٦)، وَقَالَ تَعَالَى: **(كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ)** ـ المدثر ٣٨ ـ أَيْ: كُلُّ نَفْسٍ قَدْ رُهِنَتْ بِمَا عَمِلَتْ فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلذُّنُوبِ وَٱلْآثَامِ (مختصر تفسير الطبري ص٥٠٠)، وَقَالَ تَعَالَى: **(وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ)** ـ النجم ٣٩ ـ أَيْ: وَأَلَّا يُجَازَى عَامِلٌ إِلَّا بِعَمَلِهِ، خَيْرًا كَانَ ذَلِكَ أَوْ شَرًّا (مختصر تفسير الطبري ص٤٠٣). وَلَوْ تَتَبَّعْنَا مِثْلَ هَٰذِهِ ٱلْآيَاتِ ٱلْكَرِيمَةِ ٱلَّتِي تَتَحَدَّثُ عَنِ ٱلْعَدْلِ، لَمَلَأْنَا صَفَحَاتٍ وَصَفَحَاتٍ، فَٱلَّذِي لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ لَا يَنْفَعُ مَعَهُ ٱلتَّطْوِيلُ، وَلَوْ قَرَأْتَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْآنَ وَٱلْإِنْجِيلَ.

وَبِهَٰذَا يَظْهَرُ ٱلتَّنَاقُضُ ٱلصَّرِيحُ وَٱلِٱفْتِرَاءُ عَلَى ٱلسَّيِّدِ ٱلْمَسِيحِ وَعَلَى تَعَالِيمِهِ ٱلشَّرِيفَةِ. فَعَدْلُ ٱللَّهِ يَتَجَلَّى فِي جَمِيعِ مَا أَنْزَلَ مِنَ ٱلْكُتُبِ، إِنْجِيلًا كَانَ أَوْ قُرْآنًا. وَيَبْدُو أَنَّ هَٰذِهِ ٱلِٱفْتِرَاءَاتِ مِنْ نَسْجِ أَنَامِلِ أَعْدَاءِ حَضْرَةِ عِيسَى عليه السلام، ٱلَّذِينَ سَعَوْا لِتَلْوِيثِ

مَوَاعِظِهِ وَأَحْكَامِهِ ٱلشَّرِيفَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ دُسْتُورَ حَقٍّ لِلْبَشَرِيَّةِ، وَنَامُوسًا لِلْعَدْلِ وَٱلْفَصْلِ بَيْنَ ٱلْخَلَائِقِ. فَلْيَصْحُ ٱلسُّكَارَىٰ مِمَّا جَرَعُوا مِنْ أَخْطَاءٍ، وَلْيَتْبَعُوا ٱلْحَقَّ وَأَهْلَهُ قَبْلَ أَنْ يُدْرِكَهُمْ يَوْمٌ لَا تَنْفَعُ فِيهِ ٱلتَّوْبَةُ وَٱلْمَعْذِرَةُ، قَالَ تَعَالَىٰ: (يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ) -غافر٥٢-.

إِبَاحَةُ شُرْبِ ٱلْخُمُورِ وَأَكْلِ لَحْمِ ٱلْخِنْزِيرِ

مِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَدَّعِي أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَدْ أَبَاحَ لِأَتْبَاعِهِ شُرْبَ ٱلْخَمْرِ قَائِلِينَ: "قَلِيلٌ مِنَ ٱلْخَمْرِ يَشْفِي قَلْبَ ٱلْإِنْسَانِ"، وَهَٰذَا ٱفْتِرَاءٌ وَكَذِبٌ فِي حَقِّ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. فَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ لِلْخَمْرِ مَضَارَّ كَثِيرَةً، وَعِلَلًا مَعْرُوفَةً، وَهَٰذَا مَا وَرَدَ عَلَىٰ لِسَانِ ٱلْأَطِبَّاءِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا. فَقَدْ قَالَ ٱلرَّازِي فِي أَضْرَارِ ٱلْخَمْرِ: «إِنَّ إِدْمَانَ ٱلسُّكْرِ يُؤَدِّي بِصَاحِبِهِ إِلَىٰ ٱلْبَلَايَا وَٱلْأَسْقَامِ، وَٱلْمُدْمِنُ عَلَىٰ شُرْبِ ٱلْخَمْرِ مُعَرَّضٌ لِلسَّكْتَةِ ٱلْقَلْبِيَّةِ وَٱلِٱخْتِنَاقِ، وَٱنْفِجَارِ شَرَايِينِ ٱلدِّمَاغِ، وَٱلْأَوْرَامِ ٱلدَّمَوِيَّةِ وَٱلصَّفْرَاوِيَّةِ فِي ٱلْأَحْشَاءِ وَٱلْأَعْضَاءِ ٱلرَّئِيسِيَّةِ، وَقَدْ يُسَبِّبُ لَهُ ٱلرُّعَاشَ وَٱلْفَالِجَ». وَأَثْبَتَ ٱلْأَطِبَّاءُ ٱلْمُحْدَثُونَ بِٱلْإِضَافَةِ إِلَىٰ ذَٰلِكَ أَنَّهُ يُؤَدِّي إِلَىٰ تَشَمُّعِ ٱلْكَبِدِ، وَضَيَاعِ ٱلْعَقْلِ مِمَّا يَسُوقُ ٱلْمَخْمُورَ لِلزِّنَا بِأُمِّهِ وَأُخْتِهِ بَدَلَ زَوْجَتِهِ، وَغَيْرِ ذَٰلِكَ مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلْقَبِيحَةِ.

فَٱلشَّرَائِعُ ٱلْإِلَٰهِيَّةُ إِنَّمَا تَكُونُ لِمَنْفَعَةِ ٱلْبَشَرِ، وَإِنْقَاذِهِمْ مِنَ ٱلْمُهْلِكَاتِ وَٱلْمُنْكَرَاتِ. فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يُبِيحَ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ مَا يَضُرُّهُمْ وَيُؤَدِّي إِلَىٰ هَلَاكِهِمْ؟ سُبْحَانَكَ ٱللَّهُمَّ، إِنْ هَٰذَا إِلَّا تَنَاقُضٌ وَٱفْتِرَاءٌ مُضِلٌّ وَاضِحُ ٱلْأَهْدَافِ وَٱلْغَايَاتِ. وَمِنَ ٱلْجَدِيرِ ذِكْرُهُ هُنَا أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ قَدْ حَذَّرَنَا مِنَ ٱلْخَمْرِ،

وَبيَّنَ لَنَا أَضْرَارَهَا فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ قَبْلَ أَنْ يُشِيرَ الْأَطِبَّاءُ وَالْحُكَمَاءُ إِلَى ذَلِكَ ، فَلَا يَفْتَرِيَنَّ عَلَى اللَّهِ وَرُسُلِهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ فَيَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . قَالَ تَعَالَى : (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) - المائدة ٩٠ - أَيْ : يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَمْرَ الَّتِي تَشْرَبُونَهَا ، وَالْقِمَارَ الَّذِي تَأْكُلُونَهُ ، وَالْحِجَارَةَ الَّتِي تَذْبَحُونَ عِنْدَهَا ، وَالْأَقْدَاحَ الَّتِي تَسْتَقْسِمُونَ بِهَا ، قَذَرٌ وَنَتْنٌ مِنْ تَزْيِينِ الشَّيْطَانِ ، وَتَحْسِينِهِ لَكُمُ الْقَبِيحَ مِنَ الْأَشْيَاءِ ، فَاتْرُكُوهُ وَارْفُضُوهُ لِكَيْ تَنْجَحُوا ، وَتُدْرِكُوا الْفَلَاحَ عِنْدَ رَبِّكُمْ . (الطبري)

أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِإِبَاحَةِ أَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَقَدِ ادَّعَى بَعْضُ النَّاسِ أَنَّ أَكْلَ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ مُبَاحٌ فِي شَرِيعَتِهِمْ ، وَمِنَ الْمَعْرُوفِ أَنَّ غِذَاءَهُ يَقْتَصِرُ عَلَى الْقَاذُورَاتِ وَالنَّجَاسَاتِ وَالْجِيَفِ ، وَفِي لَحْمِهِ تَكْمُنُ دُودَةٌ شَرِيطِيَّةٌ فَتَّاكَةٌ ، تُسَبِّبُ الْعِلَلَ وَالْأَمْرَاضَ الْمُؤْذِيَةَ الَّتِي لَا يَشْعُرُ بِهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا بَعْدَ زَمَنٍ طَوِيلٍ ، وَبَعْدَ أَنْ تَسْتَمْكِنَ مِنْ جِسْمِهِ ، كَمَا أَثْبَتَتِ التَّجَارِبُ وَالْأَبْحَاثُ وَالتَّحَالِيلُ الطِّبِّيَّةُ الْحَدِيثَةُ . وَأَكْثَرُ مَا يَظْهَرُ ضَرَرُ أَكْلِ لَحْمِهِ فِي الْبُلْدَانِ الْحَارَّةِ ، وَقَدْ أَخْضَعَتْ هَذِهِ الْجُرْثُومَةُ لِحَرَارَةٍ مُرْتَفِعَةٍ ، فَلَمْ تَتَأَثَّرْ وَبَقِيَتْ عَلَى قَيْدِ الْحَيَاةِ . وَقَالَ الْبَحَّاثُونَ : « إِنَّ هَذِهِ الدُّودَةَ تَجِدُ مَأْوًى مُنَاسِبًا فِي جِسْمِ الْإِنْسَانِ فَتَنْتَقِلُ إِلَيْهِ عَبْرَ أَكْلِهِ لِلَحْمِ الْخِنْزِيرِ ، فَتُسَبِّبُ لَهُ الْبَلَايَا السَّوْدَاءَ مِنَ الضَّعْفِ الْجِنْسِيِّ ، إِلَى الْتِهَابِ السَّحَايَا وَالْأَعْصَابِ ، وَالْغَيْبُوبَةِ وَأَمْرَاضٍ أُخْرَى .

وَقَدْ أُصِيبَ سُكَّانُ إِحْدَى الْقُرَى اللُّبْنَانِيَّةِ بِمَرَضِ الْانْتِفَاخِ ، وَبَحَثَ الْأَطِبَّاءُ كَثِيرًا لِاكْتِشَافِ سَبَبِ ذَلِكَ الِانْتِفَاخِ ،

فَتَبَيَّنَ فِيمَا بَعْدُ أَنَّهُ نَاتِجٌ عَنْ أَكْلِ لَحْمِ ٱلْخِنْزِيرِ، وَأَطْلَقُوا عَلَيْهِ ٱسْمَ: «ٱلتْرِيشِينُوز».

فَكَيْفَ يَتَوَصَّلُ ٱلْأَطِبَّاءُ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ أَضْرَارِ أَكْلِ لَحْمِ ٱلْخِنْزِيرِ وَيُحَذِّرُونَ مِنْهُ، وَلَا يَعْلَمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَٰلِكَ، كَمَا يَدَّعُونَ، وَيُبِيحَانِ أَكْلَهُ لِأَتْبَاعِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!! إِنْ هَٰذَا إِلَّا ٱفْتِرَاءٌ عَلَىٰ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِ. قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ﴾ ـ المائدة ٣ـ، فَهَٰذِهِ ٱلْآيَةُ ٱلْكَرِيمَةُ صَرِيحَةٌ فِي تَحْرِيمِ أَكْلِ لَحْمِ ٱلْخِنْزِيرِ، وَتَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ ٱللَّهَ تَعَالَىٰ عَالِمٌ بِمَا يَضُرُّ خَلْقَهُ وَبِمَا يَنْفَعُهُمْ وَذَٰلِكَ قَبْلَ أَنْ يُظْهِرَهُمْ إِلَىٰ ٱلْوُجُودِ.

وَقَدْ يَنْبَرِي مُعَانِدٌ مُكَابِرٌ فَيَقُولُ: بِمَا أَنَّ أَضْرَارَ لَحْمِ ٱلْخِنْزِيرِ مَعْرُوفَةٌ، وَقَدْ حَرَّمَهُ عَلَىٰ عِبَادِهِ، فَلِمَاذَا خَلَقَهُ إِذَنْ؟...

فَنَقُولُ لَهُ: إِنَّ ٱللَّهَ خَلَقَ ٱلدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَٱلْكَوْنُ مِلْكُهُ، وَٱلْخَلْقُ عَبِيدُهُ، يَجْعَلُ فِي مِلْكِهِ مَا يَشَاءُ، وَيَأْمُرُ عَبِيدَهُ بِمَا يُرِيدُ. فَقَدْ أَوْجَدَ ٱللَّهُ ٱلثَّعَابِينَ وَٱلذُّبَابَ، وَٱلَّتِي تُسَبِّبُ فِي ظَاهِرِهَا ٱلضَّرَرَ وَٱلْمَخَاطِرَ لِلنَّاسِ، إِلَّا أَنَّ ٱلطِّبَّ ٱلْحَدِيثَ قَدْ تَوَصَّلَ إِلَىٰ ٱلِانْتِفَاعِ مِنْ هَٰذِهِ ٱلْمَخْلُوقَاتِ بِتَرْكِيبِ بَعْضِ ٱلْأَدْوِيَةِ. أَمَّا بِالنِّسْبَةِ لِلْخِنْزِيرِ، فَقَدْ عَرَفْنَا مَضَارَّهُ وَتَحْرِيمَ أَكْلِ لَحْمِهِ، وَأَمَّا ٱلْحِكْمَةُ مِنْ وُجُودِهِ فَلَا تَنْكَشِفُ إِلَّا لِمَنْ أَخْلَصَ فِي ٱلْعُبُودِيَّةِ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ جَعَلَهُ فِتْنَةً وَٱبْتِلَاءً وَٱخْتِبَارًا لِعِبَادِهِ، وَوَسِيلَةً لِلتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ بِٱجْتِنَابِ أَكْلِهِ. فَفِي إِطَاعَةِ أَمْرِ ٱللَّهِ

تَعَالَىٰ فَائِدَةٌ عَظِيمَةٌ فِي مُحَارَبَةِ ٱلنَّفْسِ وَمُجَاهَدَتِهَا، وَٱلْخُضُوعِ لِلْأَمْرِ ٱلرَّبَّانِيِّ حَتَّىٰ يُكْتَبَ ٱلْعَبْدُ عِنْدَ ٱللَّهِ مِنَ ٱلطَّائِعِينَ، قَالَ تَعَالَىٰ: (وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) ـ الأحزاب ٧١ ـ.

فَلَا يَظُنَّنَّ أَحَدٌ أَنَّ ٱلْفَوْزَ يَكُونُ بِإِلْقَاءِ ٱلْمَسْؤُولِيَّاتِ عَلَىٰ ٱلْغَيْرِ وَٱلِاتِّكَالِ عَلَىٰ ٱلْآخَرِينَ، بَلْ بِٱلْإِيمَانِ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِ، وَٱتِّبَاعِ أَوَامِرِ ٱللَّهِ وَنَوَاهِيهِ، وَٱلْقِيَامِ بِٱلْعِبَادَاتِ وَٱلصَّلَاةِ لِلَّهِ ٱلْخَالِيَةِ مِنَ ٱلْإِشْرَاكِ وَٱلْإِلْحَادِ، جَعَلَنَا ٱللَّهُ مِمَّنْ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ.

ٱدِّعَاءُ ٱلْأَكْلِ مِنْ لَحْمِ ٱللَّهِ وَٱلشُّرْبِ مِنْ دَمِهِ

مِنَ ٱلتَّلْبِيسَاتِ وَٱلِاعْتِقَادَاتِ ٱلْفَاسِدَةِ عِنْدَ ٱلْبَعْضِ، قَوْلُهُمْ بِأَنَّهُمْ يَأْكُلُونَ مِنْ لَحْمِ ٱللَّهِ وَيَشْرَبُونَ مِنْ دَمِهِ، قَاصِدِينَ بِذَٰلِكَ لَحْمَ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَدَمَهُ، وَهُوَ مَا يُسَمَّىٰ عِنْدَهُمْ بِـ"ٱلْقُرْبَانِ". فَكَثِيرًا مَا نَسْمَعُهُمْ يَقُولُونَ: "ٱلْحَمْدُ لَكَ يَا ٱللَّهُ ٱلَّذِي أَطْعَمْتَنَا مِنْ لَحْمِكَ وَأَسْقَيْتَنَا مِنْ دَمِكَ".

فَٱللَّهُ لَيْسَ بِلَحْمٍ حَتَّىٰ يُؤْكَلَ، وَلَا بِسَائِلٍ حَتَّىٰ يُشْرَبَ، وَلَا يَجُوزُ أَنْ يُقَالَ بِحَقِّهِ ٱفْتِرَاءَاتٌ كَهٰذِهِ، تَعَالَىٰ ٱللَّهُ عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.

فَمَنْ يَمْلِكُ ذَرَّةً مِنَ ٱلْعَقْلِ وَٱلْإِدْرَاكِ، وَيَقُولُ بِهٰذَا ٱلْكَلَامِ ٱلْفَاسِدِ؟ إِنَّ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ خَالِقُ ٱلْأَجْسَادِ وَسَخَّرَ لَهَا ٱلدَّمَ يَجْرِي فِيهَا بِأَمْرِهِ تَعَالَىٰ، فَٱللَّهُ حَيٌّ يَحْيَا بِحَيَاةٍ أَزَلِيَّةٍ (أَيْ لَا بِدَايَةَ لَهَا) أَبَدِيَّةٍ، وَلَيْسَتْ بِدَمٍ وَرُوحٍ. وَكُلُّ مَنْ كَانَ لَهُ جَسَدٌ مَادِّيٌّ فَهُوَ ذُو صِفَةٍ مَخْلُوقَةٍ قَابِلَةٍ لِلْفَنَاءِ. وَٱلَّذِي يُؤْكَلُ مِنْ لَحْمِهِ إِنَّمَا هُوَ ٱلْغَنَمُ وَٱلْبَقَرُ وَٱلطُّيُورُ وَٱلْأَسْمَاكُ ٱلَّتِي خَلَقَهَا ٱللَّهُ وَجَعَلَهَا قُوتًا لِلْإِنْسَانِ.

بعض الأقوال الفاسدة

من الأقوال الفاسدة التي شاعت عند البعض قولهم: "إننا ننتظر ولادتك يا الله حتى تغفر لنا"، وقولهم: "إن الله أحب العالم حتى بذلك ابنه ليخلص العالم".

إن السموم والأمراض التي يبثونها من خلال موجات ضلالاتهم لا تجد طريقها إلا إلى كل من طرد من رحمة الله الواحد القهار. فتلك الأقوال الفاسدة، والتأويلات الشنيعة، والألفاظ المظلمة، إن دلت على شيء فإنما تدل على تناسق متين بين أهل الضلال والشرك وعباد الأوثان، قديماً وحديثاً، الذين لعبت الشياطين في عقولهم، وسيطرت على قلوبهم، وزينت لهم سوء أعمالهم، فأضلتهم عن طريق نور الحقيقة وشعاع الصواب وشمس الاستقامة.

ومن الأقوال التي كثيراً ما تردّدها الإذاعات، والتي يُراد لها قاموس خاص بالكفريات التي يشيب منها الرأس، ويضيق من سماعها القلب، ويرتجف الصدر لما فيها من إشراك وتضليل، قولهم: "تعالَ يا ربُّ يا يسوع"، فهل الربّ أصبح عندهم مخلوقاً، والمخلوق ربّاً، يأتي كسائر البشر، ويُنادى كما يُنادى للصاحب والصديق؟ والعياذ بالله من ذلك الجهل الفظيع. فالله سبحانه ليس ببشر، وليس له صفة المخلوقين حتى يُنادى بتلك المناداة الفاسدة التي جمعت بين سوء الأدب والضلالة، بجعل المسيح عيسى ابن مريم ربّاً. فما هذه الأمور إلا مهزلة ولعب في عقائد الناس للسيطرة على نفوس وقلوب البشرية. ألم يعلموا أن الله تعالى ليس من جنس خلقه، وأنه لا يُشبه شيئاً من المخلوقات

بوجهٍ من الوجوه، لا في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؟ فكلُّ ما تراه أو يخطر ببالك فالله ليس كذلك، ولا يستطيع أحدٌ على قهره سبحانه، بل كلُّ شيءٍ تحت قهره وجبروته. إنّ الشياطين قد تسرّبت إلى عقائدهم لتفسدها، وتسوقهم معها في الضلال المبين. فما زالت تجرّ الناس إلى مزالق ومهالك، وألفاظٍ ومعتقداتٍ مدسوسةٍ ومدروسةٍ، تؤدّي بهم إلى الخلود في نار جهنّم. فقد طالت أيديهم المسمومة قلوب محبّي حضرة عيسى عليه السلام، فجعلتهم يحرّفون أقواله الشريفة وتعاليمه المنيرة، وبدّلوها بما يخدم مآربهم الخسيسة. لو يسمع ذو العقل الراجح والقلب الصافي والصدر الرحب، والخائف من الله ظاهراً وباطناً، ما تبثّه الإذاعات من كفرٍ وضلالٍ وإشراكٍ وخلطٍ للكذب بعضه ببعض، ومزجه بظلماتٍ مطموسةٍ بالمهزلة والسخرية، لعلم حقيقة ما نقوله وما به ننصح. فليصحُ القائلون بذلك، وليعوا ما يقولون ويفترون على الله (فمن أظلم ممّن افترى على الله كذباً ليضلّ الناس بغير علم) - الأنعام ١٤٤ -.

أين عقول الأطباء، وأفكار المثقفين، وذكاء المحامين، وبراعة المهندسين في معرفة ما يريده الله من عباده، وما يكيده إبليس لهم؟ ولكنّنا، وللأسف، نراهم أشدّ المروّجين لتلك الأقاويل الضالّة، والمفاسد الخبيثة، فيشجّعون الناس على التمسّك بها، ويبرزون في برامج التلفزيون ونشرات الإعلام داعين الناس إلى التمسّك بها، ومحذّرين من اتّباع تعاليم الإسلام بدعوى أنّ المسلمين يسعون إلى إضلالهم وصدّهم عن دين آبائهم وأجدادهم. وقد غاب عن ذهن أمثال هؤلاء

أنَّ ما هُمْ عليه ليس بدين، إنَّما هو هوىً من الأهواء، منسوجٌ من خيال الإشراك، مجموعٌ من أوهام عُبَّاد الأوثان، مُستندٌ على عصبيّة الكفر الهوجاء، لم يقُلْ به حضرةُ عيسى عليه السلام، ولم يكُنْ على شيءٍ منه، وحواريُّو حضرة عيسى عليه السلام بريئون من ذلك الإشراك الذي يُؤدّي بصاحبه إلى العذاب المُقيم والشقاء الأليم فلا بُدَّ من ترميم ما فسد من عقائد الذين دخلوا في نفق مُظلم وضلّوا السبيل. (فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) - المائدة ١٠٠ -

قولُه: لله شخصيّتان روحيّة وجسديّة

من الخزعبلات التي انتشرت بين كثيرٍ ممّن يدّعون اتّباع حضرة عيسى المسيح عليه السلام، ما ذهبوا إليه في تفسير ادّعائهم أنَّ الله تعالى تجسّد بصورة حضرة عيسى عليه السلام فهم إذا ما تصدّى لهم مؤمنٌ ونهاهم عن كفرهم وإشراكهم ضحكوا وقالوا: "إنكم لا تُدركون حقيقة معتقداتنا، وقد خفي عنكم الأمور الحرفانيّة فيها. فإنَّ الله لم يتجسّد شخصيّاً بعيسى المسيح، إنَّما لله شخصيّتان: شخصيّة روحيّة إلهيّة في السماء، وشخصيّة جسديّة في الأرض، ألم تسمعوا قول الله في قرآنكم: (وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله) - الزخرف ٨٤ - وكأنّهم بزعمهم هذا يحاولون الخروج من نفق مُظلم ليس فيه قرارٌ ولا نورٌ ولا استقرارٌ، ملي، بالظُّلمات والضلالات، يتخبّطهم الشيطان فيها من كلّ جانبٍ ومكان، فيزيدُ من نجاسة اعتقادهم وضلال سعيهم، لما انغمسوا فيه من الإشراك، وازدادوا كفراً على كفرهم حيث نسبوا لله عزّ وجلّ الحلوليّة، وهي أن يحلّ

سُبْحَانَهُ فِي ٱلْأَشْيَاءِ، تَعَالَى ٱللَّهُ عَنْ ذَٰلِكَ عُلُوًّا كَبِيرًا.
فَٱلْأَوْلَى بِهَؤُلَاءِ أَنْ يُصَحِّحُوا عَقَائِدَهُمْ وَيُنَزِّهُوا خَالِقَهُمْ، وَيُدَمِّرُوا أَوْثَانَ أَفْكَارِهِمْ، وَيَخْرُجُوا مِنْ ظُلْمَةِ إِشْرَاكِهِمْ لِيَعُوا وَيَفْهَمُوا مَا يَقُولُونَ، إِذْ كَيْفَ يَحْلُو لَهُمْ أَنْ يُشَبِّهُوا رَبَّ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَفَاطِرَهُمَا بِشَخْصِيَّةِ خَلْقِهِ، وَكَلِمَةُ "شَخْصِيَّةٍ" تَدُلُّ عَلَى إِنْسَانٍ مَخْلُوقٍ مِنَ ٱلْعَدَمِ، ذِي حَجْمٍ مَحْدُودٍ وَٱرْتِفَاعٍ مَعْلُومٍ، وَقَدْ قَالَ ٱلْخَطَّابِيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ فِي تَفْسِيرِ كَلِمَةِ "شَخْصٍ": «وَلَا يُسَمَّى شَخْصًا إِلَّا جِسْمٌ مُؤَلَّفٌ لَهُ شُخُوصٌ وَٱرْتِفَاعٌ»، وَهَٰذَا مَا لَا يَجُوزُ فِي حَقِّ ٱللَّهِ سُبْحَانَهُ، فَٱللَّهُ خَالِقُ ٱلشَّخْصِ وَٱلشَّخْصِيَّاتِ، وَهُوَ ٱلَّذِي أَمَدَّهَا بِٱلْقُوَّةِ وَٱلْحَيَاةِ، فَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ ٱلتَّعَدُّدُ وَٱلْجِهَةُ وَٱلْحَجْمُ وَٱلْحُدُودُ، وَلَا يَحْتَاجُ لِمَكَانٍ وَلَا عُمْقٍ وَلَا طُولٍ، وَلَا تَنَقُّلٍ بِطُلُوعٍ أَوْ نُزُولٍ. فَٱللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ خَالِقُ ٱلْأَمَاكِنِ وَٱلْأَزْمَانِ. وَلَيْسَ سُبْحَانَهُ شَبِيهًا بِخَلْقِهِ، وَلَا مُؤَلَّفًا مِنْ مَادَّةٍ أَوْ نَوْعٍ أَوْ شَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ، بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَاوَاتِ وَٱلْأَرَاضِي وَٱلْبِحَارَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلنُّجُومَ، وَجَمِيعُهَا بِحَاجَةٍ إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ. وَقَدْ نَقَلَ صَاحِبُ ٱلْخِصَالِ مِنَ ٱلْحَنَابِلَةِ عَنْ حَضْرَةِ مَوْلَانَا أَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ تَكْفِيرَ مَنْ قَالَ إِنَّهُ تَعَالَى جِسْمٌ لَا كَٱلْأَجْسَامِ. - نَقَلَهُ ٱلزَّرْكَشِيُّ فِي تَشْنِيفِ ٱلْمَسَامِعِ.

رَسْمُ صُورَةِ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

مِنَ ٱلْأُمُورِ ٱلَّتِي ٱعْتَدْنَا رُؤْيَتَهَا عِنْدَ ٱلْبَعْضِ، رَسْمُ صُورَةِ حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ مَصْلُوبًا عَلَى ٱلْخَشَبِ بِطَرِيقَةٍ مُنَفِّرَةٍ تَقْشَعِرُّ لَهَا ٱلْأَبْدَانُ. وَإِذَا مَا أَمْعَنَّا فِي هَٰذِهِ ٱلصُّوَرِ فَإِنَّنَا نَرَى كُلَّ صُورَةٍ لَا تُشْبِهُ ٱلثَّانِيَةَ. وَلَا بُدَّ هُنَا مِنْ بَعْضِ ٱلِٱعْتِرَاضَاتِ

• أوّلاً: لا دليل على صحّة هذه الصّور، إذ لم يكن التّصوير الفوتوغرافيّ موجودًا في عهد حضرة عيسى المسيح عليه السلام

• ثانيًا: كان حضرة عيسى عليه السلام ذا جمالٍ ساطعٍ ونورٍ باهرٍ، من نظر إلى جنابه امتلأ قلبُهُ نورًا، واضطربت جوارحُهُ طربًا، وسعدت روحُهُ فرحًا، واشتعلت مجامرُ قلبه حبًّا له، واطمأنّت النّفس لذلك النّور السّاطع والبدر المنير عليه السلام، وهذا ما لا نجده عندما ننظر إلى هذه الصّور المرسومة من نسج الخيال، والّتي لا تمتّ إلى حضرة عيسى عليه السلام بأيّة صلة. فلو أحضرنا صورة شابّ أميريكيّ وقارنّاها بالصّورة المنسوبة لحضرة عيسى عليه السلام الّتي تباع في المحلّات، لوجدنا الشّابّ الأميريكيّ الكافر أشدّ جمالاً من الصّورة، وهذا محال، إذ الأنبياء الكرام عليهم السلام هم أجمل النّاس خلقًا وخُلقًا. وقد قال الصّحابيّ الجليل حسّان بن ثابت رضي الله عنه في مدح حضرة النّبيّ محمّد عليه الصلاة والسلام:

وأحسن منك لم ترقط عيني ... وأجمل منك لم تلد النّساء
خُلقت مبرّءًا من كلّ عيب ... كأنّك قد خُلقت كما تشاء

وجميع حضرات الأنبياء عليهم السلام يكونون على هذا القدر من الجمال، وكذلك الأمر بالنّسبة للصّورة المنسوبة لحضرة مريم عليها السلام. ولو نظر أهل الإنصاف إلى فتاة إنكليزيّة ذات جمالٍ لوجدناها أجمل من الصّورة المنسوبة لحضرة مريم عليها السلام، وكيف يكون لامرأة كافرة أن تكون أجمل ممّن كمل إيمانها وكانت صادقة تقيّة شريفة مخلصة في حبّ الله، ولو فرضنا أنّ أحدنا قتل ولده صلبًا أو رميًا بالرّصاص، وكان قد صوّر بهذا الشّكل المفجع المؤلم الّذي يزلزل

ٱلْقَلْبَ وَيَخْلَعُهُ مِنْ مَكَانِهِ. فَهَلْ يُعْقَلُ أَنْ يُعَلِّقَ صُورَتَهُ فِي بَيْتِهِ عَلَىٰ هَٰذِهِ ٱلْحَالِ لِيَدُومَ تَذَكُّرُ أَوْجَاعِ وَلَدِهِ ٱلْعَظِيمَةِ؟ فَإِذَا كُنَّا نَجِدُ هَٰذَا غَيْرَ مَعْقُولٍ عِنْدَ بَنِي ٱلْبَشَرِ، فَكَيْفَ يَسُوغُ مِثْلُ هَٰذَا بِمَنْ نُحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ أُمِّنَا وَأَبِينَا وَإِخْوَتِنَا وَأَصْحَابِنَا وَهُوَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَكَيْفَ يَدَّعِي ٱلْبَعْضُ حُبَّهُ، وَيَضَعُ صُورَتَهُ بِهَٰذَا ٱلشَّكْلِ ٱلْمُخْزِي وَٱلْمُؤْلِمِ.

ٱلْاحْتِفَالُ بِمَوْلِدِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِكَثْرَةِ إِقْبَالِ ٱلنُّفُوسِ عَلَى ٱلِاغْتِرَافِ مِنَ ٱلشَّهَوَاتِ، وَبِحُجَّةِ ٱلرُّخْصَةِ ٱلَّتِي تَوَهَّمُوا بِأَنَّهَا تَغْفِرُ لَهُمْ جَمِيعَ خَطَايَاهُمْ، فَإِنَّنَا نَرَىٰ بَعْضَ ٱلَّذِينَ يَدَّعُونَ ٱتِّبَاعَ وَحُبَّ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْتَقْبِلُونَ مَوْلِدَهُ ٱلشَّرِيفَ بِشُرْبِ ٱلْخُمُورِ وَٱلْفُحْشِ وَٱلزِّنَا وَٱلرَّقْصِ وَٱلسَّهَرِ فِي نَوَادِي ٱلْفِسْقِ وَٱلْفُجُورِ، بَدَلَ أَنْ يَسْتَقْبِلُوهُ بِٱلتَّوْبَةِ ٱلنَّصُوحِ، وَمُسَاعَدَةِ ٱلْفُقَرَاءِ وَتَرْغِيبِ ٱلنَّاسِ عَلَىٰ حُبِّهِ، وَٱلْعَمَلِ بِآدَابِهِ وَزُهْدِهِ وَأَخْلَاقِهِ ٱلْعَالِيَةِ ٱلرَّفِيعَةِ، وَتَقْوَاهُ وَذَكَائِهِ وَتَوْحِيدِ رَبِّهِ، وَطَلَبِ ٱلْمَغْفِرَةِ مَعَ ٱلنَّدَمِ عَمَّا ظَهَرَ عَلَىٰ أَيْدِيهِمْ مِنَ ٱلْمَعَاصِي وَٱلْمَظَالِمِ ٱلَّتِي يَسْتَحْيِي ٱلْعَاقِلُ أَنْ يُوَاجِهَ بِهَا مَحْبُوبَهُ وَشَفِيعَهُ فِي هَٰذِهِ ٱللَّيْلَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ. وَهَٰذِهِ ٱلتَّصَرُّفَاتُ ٱلشَّنِيعَةُ إِنْ دَلَّتْ عَلَىٰ شَيْءٍ فَإِنَّمَا تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّ دَسَائِسَ أَعْدَاءِ حَضْرَةِ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَدْ وَجَدَتْ طَرِيقَهَا إِلَىٰ قُلُوبِ كَثِيرٍ مِنْ أَتْبَاعِهِ، إِذْ لَا يُعْقَلُ أَنْ يَقْبَلَ حَضْرَةُ عِيسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِمَا يَحْصُلُ مِنِ ٱنْتِهَاكِ حُرُمَاتِ ٱللَّهِ، وَمُخَالَفَةِ أَمْرِهِ سُبْحَانَهُ، فِي تِلْكَ ٱللَّيْلَةِ ٱلَّتِي سَوَّدُوهَا بِٱلْمَعَاصِي وَٱلْآثَامِ. ٱللَّهُمَّ إِنَّنَا أَبْرِيَاءُ مِمَّا يَفْعَلُونَ.

اَلْحَقِيقَةُ اَلْمُنَجِّيَةُ

اَلْحَقِيقَةُ اَلَّتِي لَا يَعْتَوِرُهَا أَيُّ شَكٍّ هِيَ مَا عَلِمْنَاهَا مِنْ كَلَامِ اَلرَّبِّ اَلْكَرِيمِ، وَهِيَ أَنَّ حَضْرَةَ عِيسَى اَلْمَسِيحِ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ رَسُولٌ مِنْ رُسُلِ اَللَّهِ اَلْكِرَامِ، بَعَثَهُ اَللَّهُ لِيُعَلِّمَ قَوْمَهُ تَوْحِيدَ اَلرَّبِّ وَتَنْزِيهَهُ مِمَّا لَا يَلِيقُ بِعَظِيمِ جَلَالِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ أُمُورِ اَلْإِشْرَاكِ وَصِفَاتِ اَلنَّقْصِ وَاَلْعَيْبِ وَاَلْعَجْزِ، وَلِيُرْشِدَهُمْ إِلَى طُرُقِ اَلنَّجَاةِ، وَيَحُضَّهُمْ عَلَى فِعْلِ اَلْخَيْرَاتِ وَاَلْحَسَنَاتِ، وَاَلِاجْتِهَادِ فِي اَلطَّاعَاتِ، وَعِبَادَةِ خَالِقِ اَلْأَرْضِ وَاَلسَّمَاوَاتِ، وَلِيُبَيِّنَ لَهُمْ مَا أَحَلَّ اَللَّهُ مِنَ اَلْأَعْمَالِ، وَيَنْهَاهُمْ عَنِ اَلْحَرَامِ وَاَلظُّلْمِ وَاَلْإِشْرَاكِ، وَقَتْلِ اَلنَّفْسِ وَاَلْخَبَائِثِ وَاَلْمُنْكَرَاتِ، وَلِيَأْمُرَهُمْ بِعِبَادَةِ اَلْوَاحِدِ اَلْأَحَدِ اَلْفَرْدِ اَلصَّمَدِ، اَلْخَالِقِ اَلْبَارِئِ، اَلْمُنَزَّهِ عَنِ اَلصَّاحِبَةِ وَاَلْوَلَدِ وَاَلشَّرِيكِ، اَلَّذِي يَبْعَثُ يَوْمَ اَلْقِيَامَةِ مَنْ فِي اَلْقُبُورِ، وَأَنَّ جَمِيعَ اَلرُّسُلِ مُرْسَلُونَ مِنْ عِنْدِ اَللَّهِ لِيُعَلِّمُوا اَلنَّاسَ تَوْحِيدَ وَعِبَادَةَ رَبِّهِمْ، لَا تَفْرِيقَ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ، وَأُمِرَهُمْ بِالتَّمَسُّكِ بِالْإِنْجِيلِ اَلْمُبَارَكِ اَلْأَنُورِ فِي عَصْرِهِ قَبْلَ أَنْ يَتِمَّ تَحْرِيفُ تَعَالِيمِهِ، وَقَدْ أَظْهَرَ اَللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ مُعْجِزَاتٍ تُهَيِّنُ وَتُذِلُّ مَنْ يَتَحَدَّاهُ، وَتُثْبِتُ صِدْقَ دَعْوَاهُ، وَإِخْلَاصَهُ عَلَيْهِ اَلصَّلَاةُ وَاَلسَّلَامُ، مَعَ مَوْلَاهُ. وَأُمُّهُ اَلْبَتُولُ حَضْرَةُ مَرْيَمَ عَلَيْهَا اَلسَّلَامُ عَفِيفَةٌ صِدِّيقَةٌ طَاهِرَةٌ، أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا (أَيْ حَفِظَتْهُ) وَكَانَتْ مِنَ اَلْقَانِتَاتِ (أَيِ اَلْخَاشِعَاتِ). قَالَ تَعَالَى: (مَا اَلْمَسِيحُ اِبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ اَلرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ اَلطَّعَامَ اُنْظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ اَلْآيَاتِ ثُمَّ اُنْظُرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ) - اَلْمَائِدَة ٧٥ - فَالْآيَةُ اَلْكَرِيمَةُ فِيهَا رَدٌّ عَلَى كُلِّ اَلْأَقْوَالِ اَلْفَاسِدَةِ فِي حَقِّ حَضْرَةِ سَيِّدِنَا اَلْمَسِيحِ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ فَهُوَ رَسُولٌ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ. ثُمَّ اُنْظُرْ إِلَى ذِكْرِ اَللَّهِ تَعَالَى

أَكْلَ الطَّعَامِ (كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ) لِيُشِيرَ إِلَى أَنَّ الَّذِي يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ هُوَ الْمُحْتَاجُ لَهُمَا، وَاللَّهُ لَيْسَ بِمُحْتَاجٍ. ثُمَّ مَنْ يَتَنَاوَلُ الطَّعَامَ وَالشَّرَابَ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ إِخْرَاجِ الْفَضَلَاتِ فِي بَيْتِ الْخَلَاءِ، وَهَذَا مِمَّا لَا يَلِيقُ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَيَسْتَحِيلُ بِحَقِّهِ تَعَالَى.

نَصِيحَةٌ

فَلَا يَسْتَكْبِرْ مَنْ يَقْرَأُ رِسَالَتَنَا هَذِهِ وَيَقُولُ فِي نَفْسِهِ: كَيْفَ أَتْرُكُ مَا أَنَا فِيهِ مِنَ الزَّعَامَةِ وَالْجَاهِ، وَكَيْفَ أُخَالِفُ عَقِيدَةَ آبَائِي وَأَجْدَادِي وَأَصْحَابِي وَعَشِيرَتِي الْقَائِلِينَ بِأُلُوهِيَّةِ الْمَسِيحِ، فَأُحْرَمَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ وَعَطْفِهِمْ وَحَنَانِهِمْ، وَأُصْبِحَ بَيْنَهُمْ غَرِيبًا وَحِيدًا بَلْ طَرِيدًا؟ وَكَيْفَ أَتَخَلَّى عَنْ شُرْبِ الْخُمُورِ وَأَكْلِ لَحْمِ الْخِنْزِيرِ، وَالتَّلَذُّذِ بِالنِّسَاءِ وَالْفَتَيَاتِ، وَارْفُضْ مَا قِيلَ لِي بِأَنَّ الْمَسِيحَ سَيَحْمِلُ جَمِيعَ هَذِهِ الذُّنُوبِ عَنِّي؟ فَمَا هَذَا الِاسْتِكْبَارُ إِلَّا تَثْبِيطٌ بَاطِلٌ لَا أَسَاسَ لَهُ وَلَا حُجَّةَ فِيهِ، وَهُوَ نَابِعٌ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَتَخَيُّلَاتِهِمُ الَّتِي يُسَيْطِرُ عَلَيْهَا عَدُوُّ اللَّهِ إِبْلِيسُ اللَّعِينُ بِمَكْرِهِ وَخُبْثِهِ لِإِضْلَالِ النَّاسِ وَتَوْهِينِهِمْ، حِقْدًا وَحَسَدًا عَلَى حَضْرَةِ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَقَدْ أَخْبَرَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَنْ جُبْنِ وَبَلَاهَةِ أَمْثَالِ هَؤُلَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَا ۝ وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا) - الأحزاب ٦٦/٣٣ -. هَذَا وَإِنَّنَا نَدْعُو مَنْ أَرَادَ أَنْ يَذُوقَ آثَارَ السَّعَادَةِ وَيَشْعُرَ بِنَعِيمِ الرِّضَى، وَيَنْجَلِيَ لَهُ الْحَقُّ مِنَ الضَّلَالِ، أَنْ يَشْهَدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُوسَى وَعِيسَى وَمُحَمَّدًا رُسُلُ اللَّهِ، وَلْيَسْأَلِ اللَّهَ بِصِدْقٍ فَيَقُولَ: "يَا رَبِّ إِنْ كَانَ مَا يَقُولُهُ هَؤُلَاءِ حَقًّا، فَاهْدِنِي إِلَى صِرَاطِكَ الْمُسْتَقِيمِ، وَأَرْشِدْنِي إِلَى مَا يُنَجِّينِي مِنَ الْكُفْرِ وَالْإِشْرَاكِ وَعَذَابِ الْجَحِيمِ، وَأَنْتَ هَادِي الضَّالِّينَ.

الخاتمة

طبعنا بحول الله تعالى وحسن عونه وتوفيقه، ما أردنا جمعه وترتيبه من كتاب: "عيسى المسيح والحقيقة وأمه مريم الصديقة" من كتب العلماء الأعلام، ونشكره سبحانه وتعالى على ما ألهم، إذ الفضل والإحسان منه وإليه، فنحن نعتقد بأنه ما قرأ قارئ إلا بإذنه وما سمع مستمع إلا بإحسانه، وما حفظ حافظ إلا بعلمه، وما خط قلم إلا بمشيئته، وما انتشر علم إلا بفضله. هو الرزاق قبل أن يرزق، وهو المحيي قبل أن يخلق، فتبارك الله أحسن الخالقين. نرجو من إخوتنا وأخواتنا في الإسلام الحنيف، أن يغضوا النظر ويكفوا الملام عما يرونه من خطإ ونسيان، فإنه جل من لا عيب فيه ولا نقصان، والعصمة الكاملة لأنبيائه الكرام ورسله العظام. ونرجوهم أن يهدوا إلينا ما يرونه جديرا بالإضافة أو الحذف، على عنواننا المدون على الكتاب، ولهم جزيل الشكر. ونسأل الله تعالى أن يجعل كتابنا هذا من الأعمال المتقبلة التي لا ينقطع ثوابها بالموت، ولا توجب لصاحبها حسرات الفوت، إنه سميع قريب مجيب الدعوات، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المحتاج لدعوات الصالحين
عدنان توفيق ياسين

أعمالُ مركزِ الكتاباتِ الإسلاميّة

قامَ نُخبةٌ من المتخصّصينَ من أهلِ العلمِ والخبرةِ والهندسةِ والفنونِ التشكيليّةِ، بمساعدةِ مركزِ الكتاباتِ الإسلاميّةِ بكلِّ ما يملكونَ من جدٍّ ونشاطٍ، في سبيلِ نشرِ دُررِ أحكامِ الشّريعةِ، وجواهرِ علومِ التّوحيدِ، بينَ عامّةِ المسلمينَ بأساليبَ وطُرقٍ مدروسةٍ فنيّةٍ وحديثةٍ. فمالتِ النّفوسُ والقلوبُ كلَّ الميلِ لتلكَ الأعمالِ الإسلاميّةِ، الحديثةِ في ترتيبِها، المبسّطةِ في إدخالِ العلومِ إلى الأذهانِ، ونقشِها ورسمِها في جريدةِ القلوبِ، بأساليبَ دقيقةٍ تساعدُ على حفظِها بطريقةٍ عقليّةٍ مبرمجةٍ ومرقّمةٍ، بحيثُ لا يُخطئُ المطالعُ فيها، ويسهلُ عليهِ، بعونِ اللهِ، حلُّ ما صعبَ وتعقّدَ من المسائلِ. فتبلورتْ أعمالُهمْ على شكلِ كتبٍ بسيطةِ الأسلوبِ علميّةِ المنهجِ، صدرَ منها:

- فقهٌ شافعيٌّ.
- أحكامُ الصّيامِ في دينِ الإسلامِ.
- سُلّمُ الأحكامِ في زكاةِ الإسلامِ.
- أدعيةُ الأنبياءِ والصّدّيقينَ وآلِ البيتِ والصّالحينَ.
- كشفُ الخفاءِ بنورِ الأسماءِ.

وسرعانَ ما اشتهرتْ وانتشرتْ في مجتمعٍ متعطّشٍ لدينِه، وبينَ أناسٍ كانوا يشكونَ من تضاربٍ في الأقوالِ والأحكامِ، رسمتْها أصحابُ النّفوسِ المريضةِ،

وَٱلْقُلُوبِ ٱلسَّقِيمَةِ، ٱلَّذِينَ أَوَّلُوا ٱلْأَحْكَامَ وَزَخْرَفُوهَا بِطَرِيقَةٍ تَنْسَجِمُ وَأَهْوَاءَهُمْ، وَذَلِكَ لِوَضْعِ ٱلْعَقَبَاتِ وَٱلْحَوَاجِزِ أَمَامَ ٱلطَّالِبِينَ وَٱلسَّاعِينَ لِإِصْلَاحِ أُمُورِ دِينِهِمْ، وَلِكَيْ يُبْقُوا ٱلْمُجْتَمَعَ عَلَى إِفْلَاسٍ دَائِمٍ فِي تَقْوَاهُ، وَخَسَارَةٍ مُحَتَّمَةٍ فِي عَمَلِهِ، وَٱنْهِيَارٍ رَهِيبٍ فِي ثَرْوَتِهِ ٱلدِّينِيَّةِ، وَهُمْ فِي ذَٰلِكَ إِنَّمَا يَتَّبِعُونَ مُخَطَّطَاتِ ٱلْمُسْتَشْرِقِينَ ٱلْحَاقِدِينَ عَلَى ٱلدِّينِ ٱلْإِسْلَامِيِّ ٱلْمُتَأَلِّقِ فِي عُلُومِهِ ٱلشَّرْعِيَّةِ، وَعَلَى رَأْسِهَا عُلُومُ ٱلتَّوْحِيدِ.

وَهَا هُوَ ٱلْكِتَابُ ٱلسَّادِسُ: "عِيسَى ٱلْمَسِيحُ وَٱلْحَقِيقَةُ وَأُمُّهُ مَرْيَمُ ٱلصِّدِّيقَةُ" فِي هَٰذِهِ ٱلسِّلْسِلَةِ ٱلْمُبَارَكَةِ، نُقَدِّمُهُ لِإِخْوَانِنَا ٱلْمُسْلِمِينَ وَلِجَمِيعِ مُحِبِّي ٱلْأَنْبِيَاءِ وَٱلْمُرْسَلِينَ. وَقَدْ بَذَلْنَا مَا بُوسْعِنَا لِكَيْ تَكُونَ كُتُبُنَا مَحَطَّةً وَمَنَارَةً وَهُدًى لِطَالِبِي شَرْعِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، فَيَتَثَقَّفُونَ بِعُلُومِهَا ٱلنَّيِّرَةِ، وَيُعَلِّمُونَهَا لِأَوْلَادِهِمْ كَيْ يَنْشَأُوا عَلَى طَرِيقِ ٱلْهِدَايَةِ وَٱلدِّينِ، تَحْتَ ظِلَالِ ٱلتَّرْبِيَةِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ ٱلسَّلِيمَةِ، لِئَلَّا تَجْرِفَهُمْ تَيَّارَاتُ ٱلْإِلْحَادِ وَفِرَقُ ٱلزَّنْدَقَةِ فِي ٱلْمُسْتَقْبَلِ فَهَنِيئًا لِمَنْ مَلَكَ هَٰذِهِ ٱلْكُتُبَ وَعَلَّمَهَا وَعَمِلَ بِهَا، وَسَاعَدَ عَلَى نَشْرِهَا.

وَنَتَمَنَّى أَنْ يُمِدَّنَا ٱللَّهُ تَعَالَى بِعَوْنِهِ وَفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ، كَيْ نَتَمَكَّنَ مَعَ ٱلْمُخْلِصِينَ، فِي ٱلْمُسَاعَدَةِ عَلَى نَشْرِ رِسَالَةِ ٱلرَّسُولِ ٱلْأَمِينِ ﷺ، وَفِي إِظْهَارِ جَوَاهِرِ ٱلدِّينِ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ، وَٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ عَلَى سَيِّدِ ٱلْمُرْسَلِينَ.

مَرْكَزُ ٱلْكِتَابَاتِ ٱلْإِسْلَامِيَّةِ

انجيل برنابا بين الحقيقة والخيال

● يجمع مؤرخو الديانة المسيحية على أنه كانت للسيد المسيح في القرون الاولى اناجيل كثيرة تروي سيرته وتعاليمه. لكن رجال الكنيسة اختاروا اربعة اعتمدوها هي (متى، مرقس، لوقا ويوحنا) رافضين البقية ومنها "انجيل برنابا". فما قصة هذا الانجيل؟ هل هو حقيقة ام خيال؟ ●

كان برنابا حواريا من انصار المخلص يسوع، الذين تلقبهم الكنيسة بالرسل. وعاش زمناً مع بولس ثم انفصل عنه. ويروي برنابا في مقدمة انجيله ان بولس انفرد بتعليم دين جديد، مخالف لما تلقاه الحواريون من يسوع بن مريم... وكانت له الغلبة فأنتشر واصبح عماد المسيحية.

ويباين هذا الانجيل الاناجيل الاربعة، التي تعتمدها الكنيسة، في امور جوهرية عدة:

اولاً: يسوع في هذا الانجيل ينكر الوهيته وكونه ابن الله امام ٦٠٠ الف جندي وامام سكان اليهودية من رجال ونساء واطفال.

ثانياً: ان الابن الذي عزم ابرهيم على تقديمه ذبيحة لله كان اسماعيل لا اسحق.

ثالثاً: ان يسوع لم يصلب، بل تم صلب يهوذا الخائن الذي يشبه يسوع. أي ان ما حصل هو مطابق لما ذكر في القرآن: "وما قتلوه وما صلبوه انما شبه لهم".

والجدير ذكره ان اقدم ذكر لانجيل برنابا ورد في بيان اصدره البابا جلاسيوس الاول عن الكتب التي ينبغي عدم قراءتها وكان جلاسيوس تولى البابوية في أواخر القرن الخامس للميلاد، أي قبل بعثة النبي محمد.

قصة اكتشافه

اما كيف اكتشف انجيل برنابا، فيقال ان مكتشف النسخة الايطالية هو راهب لاتيني يُسمى فرامرينو، عثر في احد الايام على رسائل لاريناوس وفي عدادها رسالة تنديد بالقديس بولس، استند فيها اريناوس الى انجيل القديس برنابا. ومنذ ذلك الحين اخذ الراهب فرامرينو يسعى للحصول على هذا الانجيل. وصودف ان اصبح مقرباً من البابا سكتس الخامس. وفي احد الايام دخل فرامرينو برفقة البابا الى مكتبته. وعندما داعب الكرى اجفان قداسته، احب فرا مرينو ان يقتل الوقت بالمطالعة. فكان اول كتاب وضع يده عليه هو الانجيل عينه الذي كان يمني النفس بالعثور عليه. فخبأ هذه الذخيرة الثمينة التي تقع في ٢٢٥ صحيفة سميكة مجلدة بصفحتين رقيقتين من المقوي يغطيهما جلد داكن ضارب الى الصفرة النحاسية.

ومكث مرينو الى ان استفاق البابا فأستأذنه وانصرف حاملاً معه كنزه الثمين. واختلى بنفسه لمطالعة الانجيل الذي اعتنق على اثره الديانة الاسلامية. ورواية الراهب فرا مرينو هذه مدونة في مقدمة النسخة الاسبانية، التي نسخت عن الايطالية، وقد رواها المستشرق سايل في مقدمة له لترجمة القرآن.

جدل وتساؤلات

شيوع خبر انجيل برنابا في مطلع القرن الثامن عشر اثار جدلاً بين العلماء. والامر الاول الذي انصرف اليه الباحثون هو التحقق من ان النسخة

نقلت عن «نهار الشباب»
دار مركز الكتابات الإسلامية
ص.ب: ١١٣/٥٧٤٣ - فرع الحمراء.

التي كانت في حوزة فرا مرينو هي النسخة الاصلية، ولم تكن منقولة عن نسخة اخرى. والغريب ان العلماء لم ينتموا من حل هذه المسألة.

ويذهب الكاتبان لونسدال ولوراغ الى انه من المحتمل ان يكون ناسخ هذا الانجيل "أي من كتب الهوامش العربية" هو الراهب فرا مرينو، ويقولان: "يمكننا الجزم بأن كتاب برنابا الايطالي، هو كتاب انشائي سواء اكان كاتبه كاهناً او علمانياً او راهباً او احد العامة، فهو منصوص بقلم رجل له إلمام واسع بالتوراة، وهو من وضع رجل ملم ايضاً بالاسفار المسيحية اكثر مما هو مطلع على الكتب الدينية الاسلامية. وبالتالي يرجح ان يكون كاتبه مرتداً عن النصرانية".

وتبادر أيضاً الى ذهن العلماء ان النسخة الايطالية منقولة عن اصل عربي، واول من اشار الى ذلك كريمر، احد مستشاري ملك بروسيا عام ١٧٠٩ واول من عثر على النسخة الايطالية. الدكتور مويت عام ١٧٨٤، مشيراً الى ان الاصل العربي لا يزال موجوداً في الشرق حتى الآن. الا ان كلام الدكتور مويت هذا مبني على كتابات المستشرق سايل التي يذكر فيها وفي معرض كلامه على القرآن: "ان عند المسلمين انجيلاً عربياً ينسبونه الى القديس برنابا، يروي سيرة المسيح بأسلوب يباين كل المباينة الاناجيل الصحيحة وينطبق على التقاليد التي جرى عليها محمد في قرآنه... وانا لم ار هذا الانجيل ولكني سمعت عنه".

من الكاتب؟

من جهته يشدد الدكتور خليل سعاده، الذي ترجم انجيل برنابا عن الانكليزية عام ١٩٠٨، على انه اذا كان هذا الانجيل عربي الاصل، فلا يعني ذلك ان كاتبه عربي الاصل، بل يمكن ان يكون يهودياً اندلسياً اعتنق الديانة الاسلامية بعد تنصره واطلاعه على اناجيل النصارى. ويقول الدكتور سعاده في كتابه: "اذا انعمت النظر في هذا الانجيل لوجدت ان لكاتبه إلماماً عجيباً بأسفار العهد القديم لا تكاد تجد له أي مثيل بين طوائف النصارى".

وما يعزز رأي سعاده ان هذا الانجيل يتضمن عدداً كبيراً من التقاليد التلمودية التي يتعذر على غير اليهودي معرفتها، ويتضمن أيضاً معاني الاحاديث والاقاصيص الاسلامية الشائعة على ألسنة العامة ولا سند لها في كتب الدين. وليس في امكان احد الاطلاع على مثل هذه الاحاديث الا اذا كان في بيئة عربية.

وسواء اكان كاتب الانجيل يهودي الاصل او نصرانياً، فمما لا شك فيه انه ارتد الى الاسلام.

الانجيل الاغنسطي

الى ذلك، تبين ان هناك انجيلاً آخر طمست رسومه وآثاره ويسمى الانجيل الاغنسطي، الذي يبدأ وينتهي بقطعة تندد ببولس الرسول. كما يذكر ان ولادة السيد المسيح تمت من دون الم. ومهذا ما يذكره أيضاً انجيل برنابا، مما يعزز الاحتمال ان يكون الانجيل الاغنسطي أباً لانجيل برنابا.

فراس زين الدين

صفحتان من الاصل الايطالي

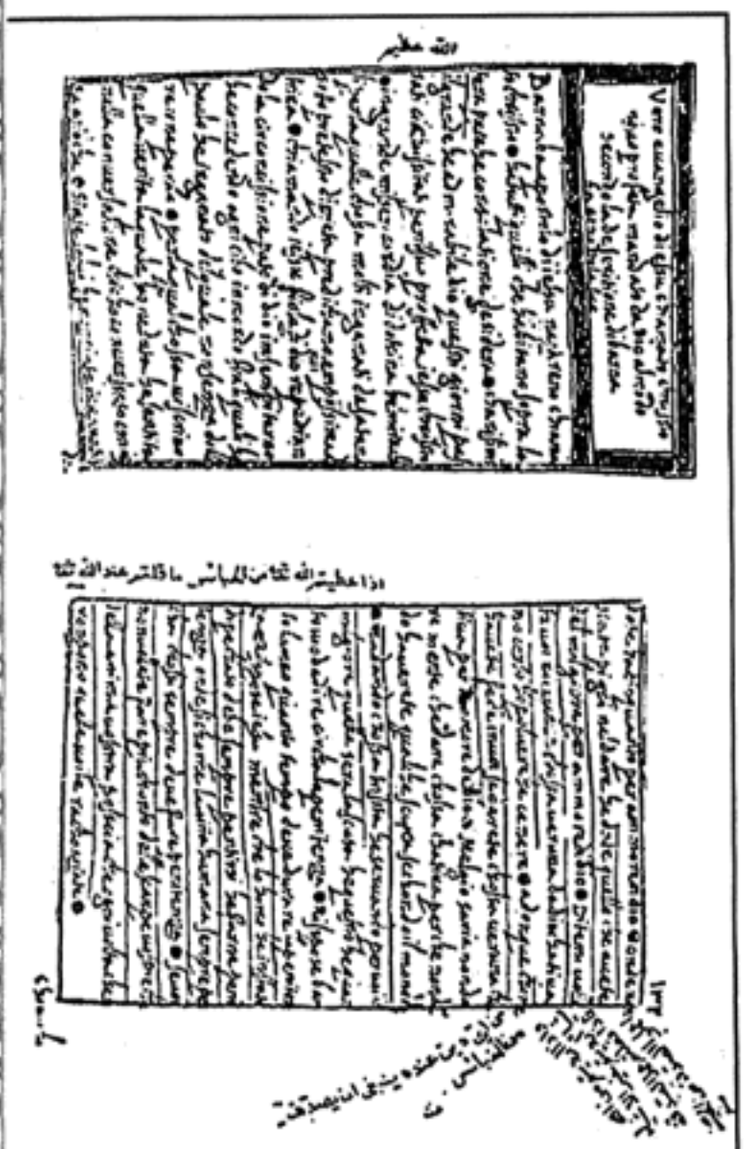

مصادر البحث:

١- "انجيل برنابا" للدكتور خليل سعاده.
٢- "دائرة المعارف الفرنسية".
٣- "اريناوس وتعليمه الجديد".
٤- "Les Arabes et la Religion": Krames.
٥- "Le Coran" traduit par Sayl.
٦- مجلة "المنار" العدد ٧٧ /أ: محمد رشيد رضا الحسيني.

الفهرس

فهرس كتاب

• عيسى المسيح والحقيقة وأمه مريم الصديقة •

الموضوع	الصفحة
إهداء الكتاب.	٣
رأي في الكتاب.	٤
تمهيد.	٧
عيسى المسيح والحقيقة وأمه مريم الصديقة.	٩
نسب حضرة مريم عليها السلام.	١٠
مريم الصديقة وما كان من أمر حملها.	١١
البشرى طيبت نفس حضرة مريم عليها السلام.	١٢
مريم الصديقة ويوسف النجار.	١٢
ولادة الصديقة لحضرة عيسى عليه السلام.	١٤
مدة حمل السيدة مريم عليها السلام.	١٥
ماكان من أمر الشياطين عند ولادة عيسى عليه السلام.	١٥
رجوع مريم بعيسى عليه السلام إلى قومها.	١٧
بعض معجزات حضرة عيسى عليه السلام.	١٩
إبليس اللعين وبدء الفتنة بعيسى عليه السلام.	٢١
ادعاء ابليس ألوهية حضرة عيسى عليه السلام.	٢٢
تبرئة حضرة عيسى من ادعاء الربوبية.	٢٤
سبب تسمية حضرة عيسى بالمسيح.	٢٥
مشي حضرة عيسى عليه السلام على الماء.	٢٥
زهد حضرة عيسى عليه السلام.	٢٦

الموضوع	الصفحة
دعاء حضرة عيسى عليه السلام وخوفه من الله.	٢٧
بعض حكم حضرة عيسى عليه السلام.	٢٧
رفع حضرة عيسى عليه السلام إلى السماء.	٢٨
المشركون يخاصمون النبي ﷺ في أمر عيسى.	٣٠
تنزيه الله تعالى.	٣١
إخبار حضرة عيسى عليه السلام بمجيء حضرة محمد ﷺ.	٣٢
خروج الدجال وظهور الضلال.	٣٣
نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان وما فيه من أحداث.	٣٦
• الحجج الساطعات في كشف التناقضات •	٤٠
ادعاء البعض ألوهية حضرة عيسى المسيح.	٤١
اختلاف الناس في شأن حضرة عيسى المسيح عليه السلام.	٤٣
قول اليهود.	٤٣
أقوال مدعي اتباع حضرة عيسى عليه السلام.	٤٣
الجواب الشافي.	٤٣
قول: "المسيح ابن زنى".	٤٣
قول: "المسيح ابن الله".	٤٣
قول: "عيسى هو الله".	٤٥
عقيدة التثليث.	٤٦
قولهم بأن الله قد صلب.	٤٨
قولهم: "تجسد الله بشخصية عيسى المسيح تواضعا".	٤٩
معنى: "روح الله".	٥٠

الموضوع	الصفحة
ادعاء البعض تحمل حضرة عيسى المسيح عليه السلام ذنوب المذنبين.	٥١
إباحة شرب الخمور وأكل لحم الخنزير.	٥٤
ادعاء الأكل من لحم الله والشرب من دمه.	٥٧
بعض الأقوال الفاسدة.	٥٨
قولـ: "لله شخصيتان، روحية وجسدية".	٦٠
رسم صورة حضرة عيسى عليه السلام.	٦١
الاحتفال بمولد حضرة عيسى عليه السلام.	٦٣
الحقيقة المنجية.	٦٤
نصيحة.	٦٥
الخاتمة.	٦٦
أعمال مركز الكتابات الإسلامية.	٦٧
الفهرس.	٦٩

برنامج تعلّم دينك بأسهل الطرق. مشروع الكتاب المجاني

إلى القرّاء الكرام: إنّ مركز الكتابات الإسلاميّة يقوم بخدمة الكتاب الإسلاميّ ونشره وتوزيعه وإيصاله مجّانًا. وقد وزّع المركز حوالي ٣٢ ألف نسخة متنوّعة.

١) نشكر الداعمين والمساعدين للدار لمتابعة هذا المشروع الضخم المفيد ونذكر المتبرّعين والداعمين برقم الحساب الجديد: (٠٢٤١٤٠٧ - ٠٢١) بنك لبنان والمهجر، شارع الاستقلال.

إنّ هذا العمل النبيل فيه إحسان جزيل وأجر لا ينقطع لوقت طويل لقوله ﷺ

" إذا مات الإنسان انقطع عمله إلّا من ثلاث : صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له " (صحيح مسلم كتاب الوصية) .

٢) من يرغب بالحصول على الكتاب فعليه المراسلة بحسب العنوان لنرسله له بالبريد .

٣) من يريد أن يطبع أيّ مجموعة من كتب المركز عن روح أقاربه فعليه الاتّصال بنا بواسطة :

أ - البريد الإلكترونيّ Email douroud@msn.com

ب - أو الاتّصال بالهاتف : ٠٣/٩٢٧٤٥١ - ٠٣/٧٣٤٣١٠

ج - أو يكتب إلينا على عنواننا: صندوق بريد : لبنان - بيروت - الحمراء ١١٣/٥٧٤٣

من يريد الاطّلاع على كتب المركز على الإنترنت فعليه زيارة الموقع التالي :

www.douroud.org

أقوال لبعض عجبي التعايش من أتباع المسيح عليه السلام

إِنَّ هَذِهِ ٱلدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنْ أَهْلِ ٱلْعُقُولِ النَّيِّرَةِ وَأَصْحَابِ ٱلْفَهْمِ ٱلسَّلِيمِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَمُدُّوا أَيْدِيَهُمْ إِلَى عَمَالَةِ ٱلِٱسْتِعْمَارِ ٱلسَّاعِي لِلتَّسَلُّطِ عَلَى خَيْرَاتِ ٱلْبِلَادِ وَٱسْتِعْبَادِ ٱلْعِبَادِ تَحْتَ سِتَارِ أَفْيُونِ ٱلنَّعَرَاتِ وَسُمُومِ ٱلتَّعَصُّبِ وَسَرَطَانِ قَلَاقِلِ ٱلطَّائِفِيَّةِ لِتَخْرِيبِ بِنْيَةِ ٱلتَّعَايُشِ ٱلْوَطَنِيِّ ٱلَّتِي بَنَى قَوَاعِدَهَا أَجْدَادُنَا ٱلْمُخْلِصُونَ بَعْدَمَا أَفْنَوْا أَعْمَارَهُمْ بِٱلسَّعْيِ لِوَعْظِ أَبْنَاءِ ٱلْوَطَنِ ٱلْوَاحِدِ وَتَوْعِيَتِهِمُ ٱلتَّوْعِيَةَ ٱلسَّلِيمَةَ لِمَا يَحْمِلُهُ ٱلتَّنَاحُرُ ٱلطَّائِفِيُّ مِنْ خَرَابٍ لِلْأَوْطَانِ وَدَمَارٍ لِلْبِلَادِ. وَلَمْ يَتْرُكُوا مَجَالًا إِلَّا وَسَدُّوهُ أَمَامَ ٱلرَّاغِبِينَ فِي تِجَارَةِ ٱلْجَمَاجِمِ وَأَرْوَاحِ ٱلْعِبَادِ ٱلَّذِينَ يَخْتَفُونَ وَرَاءَ سِتَارِ ٱلْحَرَكَاتِ ٱلْوَطَنِيَّةِ ٱلْمُطَالِبَةِ بِرَفْعِ ٱلظُّلْمِ عَنِ ٱلطَّائِفَةِ ٱلْفُلَانِيَّةِ أَوْ غَيْرِهَا، مِمَّا كَانَ سَيَجْعَلُ ٱلْوَطَنَ مَهْدُورَ ٱلثَّرَوَاتِ مَنْهُوبَ ٱلْغَلَّاتِ، يَجْهَدُ ٱلْغُرَبَاءُ فِي إِثَارَةِ ٱلْفِتَنِ حَتَّى يَغْرَقَ ٱلْوَطَنُ وَٱلْمُوَاطِنُ فِي بَحْرٍ مِنَ ٱلدِّمَاءِ. وَهَذَا ٱلْجِيلُ ٱلْوَاعِي مِنَ ٱلْعُلَمَاءِ وَٱلْفَلَاسِفَةِ ٱتَّبَعُوا ٱلْجَوَانِبَ ٱلْإِيمَانِيَّةَ لِلرَّسُولِ ٱلْكَرِيمِ ﷺ وَخَلِيفَةِ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ فِي ٱلْأَرْضِ عِيسَى ٱلْمَسِيحِ بْنِ مَرْيَمَ ٱلصِّدِّيقَةِ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ وَٱلْاِحْتِرَامُ وَٱلتَّحِيَّةُ. وَسَنَعْرِضُ لِلْقَارِئِ ٱلْمُخْلِصِ بَعْضَ أَقْوَالِ هَؤُلَاءِ ٱلسَّادَةِ ٱلْمُعْتَدِلِينَ فِي آرَائِهِمْ وَٱلصَّادِقِينَ فِي تَشْخِيصَاتِهِمُ ٱلْبَيْضَاءِ تِجَاهَ دِينِ ٱللهِ ٱلْوَاضِحِ ٱلنَّقِيِّ ٱلرَّاقِي ٱلَّذِي لَا يَحْتَاجُ بِٱلْأَسَاسِ إِلَى شَهَادَةِ أَحَدٍ. إِنَّ هَؤُلَاءِ ٱلْعُقَلَاءِ نَظَرُوا إِلَيْهِ بِعُقُولِهِمُ ٱلسَّلِيمَةِ ٱلْمُطْلَقَةِ مِنْ قُيُودِ ٱلْهَوَى وَٱلتَّعَصُّبِ ٱلْمَمْقُوتِ فَعَلِمُوا أَنَّ دِينَ ٱللهِ هُوَ مَنْبَعُ ٱلرُّقِيِّ وَٱلسَّعَادَةِ وَأَسَاسُ بِنَاءِ ٱلْمَدَنِيَّةِ وَٱلْحَضَارَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ. وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ هَؤُلَاءِ ٱلْفَلَاسِفَةِ ٱلصَّادِقِينَ تَصَدَّوْا لِلدِّفَاعِ عَنْ دِينِ

ٱلرَّبِّ وَأَلَّفُوا فِي ذَلِكَ ٱلْمُؤَلَّفَاتِ ٱلْقَيِّمَةِ ٱلنَّاطِقَةِ بِٱلْحَقِّ وَٱلصَّوَابِ وَقَدِ ٱنْتَشَرَتْ آرَاؤُهُمْ شَرْقًا وَغَرْبًا، نَكْتَفِي بِذِكْرِ بَعْضِهَا.

١ قَالَ ٱلْفَيْلَسُوفُ ٱلإِنْجِلِيزِيُّ بِرْنَارْدْ شُو: " لَقَدْ وَضَعْتُ دَائِمًا دِينَ مُحَمَّدٍ مَوْضِعَ ٱلإِعْتِبَارِ ٱلسَّامِي بِسَبَبِ حَيَوِيَّتِهِ ٱلْمُدْهِشَةِ، فَهُوَ ٱلدِّينُ ٱلْوَحِيدُ ٱلَّذِي يَلُوحُ لِي أَنَّهُ حَائِزٌ أَهْلِيَّةَ ٱلْهَضْمِ لِأَطْوَارِ ٱلْحَيَاةِ ٱلْمُخْتَلِفَةِ، بِحَيْثُ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَكُونَ جَذَّابًا لِكُلِّ جِيلٍ مِنَ ٱلنَّاسِ. لَا مُشَاحَةَ أَنَّ ٱلْعَالَمَ يُعَلِّقُ قِيمَةً كَبِيرَةً عَلَى نُبُوءَاتِ كِبَارِ ٱلرِّجَالِ، وَلَقَدْ تَنَبَّأْتُ بِأَنَّ دِينَ مُحَمَّدٍ سَيَكُونُ مَقْبُولًا لَدَى أُورُوبَّا غَدًا، وَقَدْ بَدَأَ يَكُونُ مَقْبُولًا لَدَيْهِمُ ٱلْيَوْمَ. وَقَدْ صَوَّرَ ٱلإِكْلِيرُوسُ فِي ٱلْقُرُونِ ٱلْوُسْطَى ٱلإِسْلَامَ بِأَحْلَكِ ٱلأَلْوَانِ إِمَّا بِسَبَبِ ٱلْجَهْلِ أَوْ بِسَبَبِ ٱلتَّعَصُّبِ ٱلذَّمِيمِ. وَلَقَدْ كَانُوا فِي ٱلْوَاقِعِ يُمَرِّنُونَ عَلَى كَرَاهِيَةِ مُحَمَّدٍ وَكَرَاهِيَةِ دِينِهِ وَكَانُوا يَعْتَبِرُونَهُ خَصْمًا لِلْمَسِيحِ. وَلَقَدْ دَرَسْتُهُ بِٱعْتِبَارِهِ رَجُلًا مُدْهِشًا فَرَأَيْتُهُ بَعِيدًا عَنْ مُخَاصَمَةِ ٱلْمَسِيحِ، بَلْ يَجِبُ أَنْ يُدْعَى مُنْقِذَ ٱلإِنْسَانِيَّةِ. وَإِنِّي لَأَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَوْ تَوَلَّى رَجُلٌ مِثْلُهُ دِكْتَاتُورِيَّةَ ٱلْعَالَمِ ٱلْحَدِيثِ لَنَجَحَ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ تَجْلُبُ إِلَى ٱلْعَالَمِ ٱلسَّلَامَ وَٱلسَّعَادَةَ ٱللَّذَيْنِ هُوَ فِي أَشَدِّ ٱلْحَاجَةِ إِلَيْهِمَا.

وَلَقَدْ أَدْرَكَ فِي ٱلْقَرْنِ ٱلتَّاسِعَ عَشَرَ مُفَكِّرُونَ مُخْلِصُونَ أَمْثَالُ كَارْلَايِلْ وَجُوتْ وَجِيبُونَ ٱلْقِيمَةَ ٱلذَّاتِيَّةَ لِدِينِ مُحَمَّدٍ، وَهَكَذَا وُجِدَ تَحَوُّلٌ حَسَنٌ فِي مَوْقِفِ أُورُوبَّا مِنَ ٱلإِسْلَامِ وَلَكِنَّ أُورُبَّا فِي ٱلْقَرْنِ ٱلرَّاهِنِ تَقَدَّمَتْ فِي هَذَا ٱلسَّبِيلِ كَثِيرًا فَبَدَأَتْ تَعْشَقُ عَقِيدَةَ مُحَمَّدٍ. وَفِي ٱلْقَرْنِ ٱلتَّالِي رُبَّمَا ذَهَبَتْ إِلَى أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ، فَتَعْتَرِفُ بِفَائِدَةِ هَذِهِ ٱلْعَقِيدَةِ فِي حَلِّ مَشَاكِلِهَا فَبِهَذِهِ ٱلرُّوحِ يَجِبُ أَنْ تَفْهَمُوا نُبُوءَتِي. وَفِي ٱلْوَقْتِ ٱلْحَاضِرِ

كَثِيرُونَ مِنْ أَبْنَاءِ قَوْمِي وَمِنْ أَهْلِ أُورُوبَا قَدْ دَخَلُوا فِي دِينِ مُحَمَّدٍ حَتَّى لَيُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ : إِنَّ تَحَوُّلَ أُورُوبَّا إِلَى ٱلإِسْلَامِ قَدْ بَدَأَ " .

وَمِمَّا يَلْفِتُ نَظَرَ ٱلبَاحِثِ فِي حَدِيثِ هَذَا ٱلفَيْلَسُوفِ ٱلمُنْصِفِ قَوْلُهُ : إِنَّ أُورُوبَّا بَدَأَتْ تَعْشَقُ عَقِيدَةَ مُحَمَّدٍ ، وَقَوْلُهُ قَبْلَ ذَلِكَ : إِنَّهُ لَوْ تَوَلَّى رَجُلٌ عَلَى مِثْلِ صِفَاتِ مُحَمَّدٍ ﷺ دِكْتَاتُورِيَّةَ ٱلعَالَمِ ٱلحَدِيثِ لَنَجَحَ فِي حَلِّ مُشْكِلَاتِهِ بِطَرِيقَةٍ تَجْلُبُ إِلَيْهِ ٱلسَّلَامَ وَٱلسَّعَادَةَ ٱللَّذَيْنِ هُوَ فِي أَشَدِّ ٱلحَاجَةِ إِلَيْهِمَا . فَهَذِهِ ٱلأَقْوَالُ لَا تَصْدُرُ إِلَّا مِنْ رَجُلٍ عَرَفَ حَقِيقَةَ ٱلإِسْلَامِ وَأَدْرَكَ كَيْفَ يُؤَثِّرُ بِجَمَالِهِ فِي ٱلقُلُوبِ ، وَيَتَسَلَّطُ بِجَلَالِهِ عَلَى ٱلنُّفُوسِ .

٢ وَلَيْسَ بِرْنَارْدْ شُو أَوَّلَ مَنْ أَدْرَكَ هَذَا فَقَدْ سَبَقَهُ كَثِيرُونَ وَعَلَى رَأْسِهِمْ جُوتْ ٱلفَيْلَسُوفُ ٱلأَلْمَانِيُّ ٱلمُتَوَفَّى سَنَةَ (١٣٨١م) وَهُوَ يُعْتَبَرُ مِنْ أَكْبَرِ رِجَالِ ٱلأَلْمَانِ عِلْمًا وَعَقْلًا . يُؤْثَرُ عَنْهُ أَنَّهُ نَظَرَ فِي ٱلإِسْلَامِ وَأَعْجَبَهُ فَقَالَ : "إِذَا كَانَ هَذَا هُوَ ٱلإِسْلَامُ فَنَحْنُ إِذًا فِيهِ " .

٣ وَقَالَ ٱلفَيْلَسُوفُ ٱلفِرِنْسِيُّ كِيزُو صَاحِبُ "تَارِيخِ ٱلتَّمَدُّنِ ٱلأُورُوبِّي" : "إِنَّ الدِّينَ ٱلإِسْلَامِيَّ يَكَادُ يَكُونُ مُنْفَرِدًا مِنْ بَيْنِ ٱلأَدْيَانِ بِتَقْرِيعِ ٱلمُعْتَقِدِينَ بِلَا دَلِيلٍ ، وَتَوْبِيخِ ٱلمُتَّبِعِينَ لِلظُّنُونِ،وَتَبْكِيتِ ٱلخَابِطِينَ فِي عَشْوَاءِ ٱلعَمَايَةِ وَٱلقَدْحِ فِي سِيَرِهِمْ . هَذَا ٱلدِّينُ يُطَالِبُ ٱلمُتَدَيِّنِينَ بِأَنْ يَأْخُذُوا بِٱلبُرْهَانِ فِي أُصُولِ دِينِهِمْ ، وَكُلَّمَا خَاطَبَ خَاطَبَ ٱلعَقْلَ ، وَكُلَّمَا حَاكَمَ حَاكَمَ إِلَى ٱلعَقْلِ . تَنْطِقُ نُصُوصُهُ بِأَنَّ ٱلسَّعَادَةَ نَتَائِجُ ٱلعَقْلِ وَٱلبَصِيرَةِ ، وَأَنَّ ٱلشَّقَاءَ وَٱلضَّلَالَةَ مِنْ لَوَاحِقِ ٱلغَفْلَةِ وَإِهْمَالِ ٱلعَقْلِ وَٱنْطِفَاءِ نُورِ ٱلبَصِيرَةِ ، وَيَرْفَعُ أَرْكَانَ ٱلحُجَّةِ لِأُصُولٍ مِنَ ٱلعَقَائِدِ

كُلٌّ مِنْهَا يَنْفَعُ ٱلْعَامَّةَ وَيُفِيدُ ٱلْخَاصَّةَ كُلَّمَا جَاءَ بِحُكْمٍ شَرْعِيٍّ أَتْبَعَهُ بِبَيَانِ ٱلْغَايَةِ مِنْهُ فِي ٱلْأَغْلَبِ ، وَفِي ٱلْقُرْآنِ مِنْ ذَلِكَ مَا لَا يُحْصَى كَثْرَةً ، وَقَلَّمَا يُوجَدُ مِنَ ٱلْأَدْيَانِ مَا يُسَاوِيهِ أَوْ يُقَارِبُهُ فِي هَذِهِ ٱلْمَزِيَّةِ " .

٤ وَقَالَ ٱلْحَكِيمُ جُوسْتَافْ لُوبرنْ : " مَا عَرَفَ ٱلتَّارِيخُ فَاتِحًا أَعْدَلَ وَلَا أَرْحَمَ مِنَ ٱلْعَرَبِ فَلِلدِّينِ أَثَرٌ كَبِيرٌ فِي تَهْذِيبِ ٱلْأُمَمِ وَتَرْبِيَةِ مَشَاعِرِهَا وَوُجْدَانِهَا وَتَرْقِيَةِ عَوَاطِفِهَا . فَإِذَا قَرَأْتَ تَارِيخَ ٱلْعَرَبِ قَبْلَ ٱلْبِعْثَةِ ، وَعَلِمْتَ مَا كَانَتْ عَلَيْهِ ، ٱعْتَقَدْتَ أَنَّ لِلشَّرِيعَةِ ٱلسَّمْحَةِ فِي تَهْذِيبِ ٱلْأَخْلَاقِ ٱلتَّأْثِيرَ ٱلْأَكْبَرَ ، إِذْ مَا كَادَ يَتَّصِلُ بِٱلْأُمَّةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ ذَلِكَ ٱلْإِصْلَاحُ ٱلرُّوحِيُّ ٱلْمَدَنِيُّ حَتَّى ٱنْتَشَرَ ٱلْعَدْلُ وَزَالَ ٱلنِّفَاقُ وَٱلرِّيَاءُ وَٱلظُّلْمُ وَٱلْعُدْوَانُ ، وَأُطْلِقَتِ ٱلْعُقُولُ مِنْ قُيُودِهَا ٱلَّتِي ظَلَّتْ دَهْرًا تَرْسُفُ فِيهَا ، وَتَبَدَّلَتْ حَالُ ٱلْأُمَّةِ ٱلْعَرَبِيَّةِ بِحَالٍ خَيْرٍ مِنْهَا " .

٥ قَالَ دُودْيَانُوسُ ٱلْوَزِيرُ ٱلْفَرَنْسِيُّ : "جَاءَ ٱلْإِسْلَامُ مُخَالِفًا لِكَثِيرٍ مِنَ ٱلْمَذَاهِبِ ٱلَّتِي ضَاعَتْ حَقِيقَتُهَا ، وَلَكِنَّهُ جَاءَ مُنَزَّهًا عَمَّا لَا يُقْبَلُ مِنَ ٱلْخُرَافَاتِ وَٱلْأَبَاطِيلِ . وَمِنْ عَجِيبِ أَمْرِهِ ، وَٱلدَّلِيلِ عَلَىٰ صِدْقِهِ ، أَنَّهُ كَرَّمَ ٱلسَّيِّدَ ٱلْمَسِيحَ وَعَظَّمَهُ ، وَإِنْ خَالَفَ ٱلْمَسِيحِيِّينَ فِي تَقْرِيرِ أَنَّ ٱلْمَسِيحَ بَشَرٌ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللهِ . وَٱلْإِسْلَامُ مُكَمِّلٌ لِلْإِنْسَانِيَّةِ لَا غُمُوضَ فِيهِ وَهُوَ يُقَرِّرُ ٱلْوَحْدَانِيَّةَ فَسَلِمَ مِنَ ٱلتَّنَاقُضِ وَٱلْمُعَارَضَةِ ٱلْعَقْلِيَّةِ . ٱلْإِسْلَامُ أَمَرَ بِٱلْمُسَاوَاةِ وَٱلْإِشْتِغَالِ بِٱلْعَمَلِ ، وَتَنَزَّهَ ٱلْإِسْلَامُ عَنِ ٱلرَّهْبَانِيَّةِ . أَمَّا تَأَخُّرُ أَهْلِهِ فَنَاشِئٌ مِنْ أَنَّهُمُ ٱنْحَرَفُوا عَنْ أُصُولِهِ ، وَتَوَجَّهُوا لِغَيْرِ مَرَامِهِ " .

٦ قَالَ ٱلفَيْلَسُوفُ كَارْلَايِلْ ٱلإِنجِلِيزِيُّ فِي كِتَابِهِ "ٱلأَبْطَالُ وَدِيَانَةُ ٱلأَبْطَالِ" : " أَيُّ دَلِيلٍ تُرِيدُ عَلَى صِحَّةِ قَوْلِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ أَنْ يَبْنِيَ لَكَ بَيْتًا كَبِيرًا يَسَعُ ٱلمَلَايِينَ ، مِنَ ٱلمَتَانَةِ بِحَيْثُ يَبْقَى مِئَاتِ ٱلسِّنِينِ كَذَلِكَ . أَيُّ دَلِيلٍ تَبْغِي عَلَى صِدْقِ مُحَمَّدٍ فِيمَا يَدَّعِيهِ مِنَ ٱلنُّبُوَّةِ أَكْبَرُ مِنْ أَنْ يَأْتِيَ لِلنَّاسِ بِدِينٍ يَهْدِيهِمْ بِهِ ، وَيَدْفَعُهُمْ فِي طَرِيقِ ٱلحَيَاةِ ٱلفَاضِلَةِ وَأَنْ يَبْقُوا مُحَافِظِينَ عَلَيْهِ وَمُتَحَمِّسِينَ لَهُ أَكْثَرَ مِنَ ٱثْنَيْ عَشَرَ قَرْنًا ؟ أَلَا فَلْيَعْلَمِ ٱلنَّاسُ أَنَّ مَثَلَ ٱلبَاطِلِ كَمَثَلِ وَرَقِ ٱلبَنْكِ ٱلزَّائِفِ يَمُرُّ عَنْ يَدٍ وَيَدَيْنِ ثُمَّ يُضْبَطُ وَيُعْرَفُ أَنَّهُ زَائِفٌ فَلَا يَرْفَعُ بِهِ أَحَدٌ رَأْسًا . وَلَكِنَّ ٱلإِسْلَامَ هَدَى ٱلعُقُولَ كُلَّ هَذِهِ ٱلأَجْيَالِ وَأَهْلُهُ أَشَدُّ ٱعْتِدَادًا وَتَمَسُّكًا بِهِ مِنْ أَيَّةِ أُمَّةٍ بِدِينِهَا فِي ٱلأَرْضِ " .

٧ وَقَالَ جُوسْتَافْ لُبُونْ فِي كِتَابِهِ " حَضَارَةُ ٱلعَرَبِ " : " إِنَّ ٱلتَّعَالِيمَ ٱلأَخْلَاقِيَّةَ ٱلَّتِي جَاءَ بِهَا ٱلقُرْآنُ هِيَ صَفْوَةُ ٱلآدَابِ ٱلعَالِيَةِ وَخُلَاصَةُ ٱلمَبَادِئِ ٱلخُلُقِيَّةِ ٱلكَرِيمَةِ . فَقَدْ حَضَّ عَلَى ٱلصِّدْقِ وَٱلإِحْسَانِ وَٱلكَرَمِ وَٱلعِفَّةِ وَٱلِٱعْتِدَالِ ، وَدَعَا إِلَى ٱلِٱسْتِمْسَاكِ بِٱلمِيثَاقِ وَٱلوَعْدِ وَٱلوَفَاءِ بِٱلذِّمَّةِ وَٱلعُهُودِ ، وَأَمَرَ بِحُبِّ ٱلجَارِ وَصِلَةِ ٱلرَّحِمِ وَإِيتَاءِ ذِي ٱلقُرْبَى وَرَعْيِ ٱلأَرَامِلِ وَٱلقِيَامِ عَلَى ٱليَتَامَى ، وَوَصَّى فِي عِدَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ تُقَابَلَ ٱلسَّيِّئَةُ بِٱلحَسَنَةِ.تِلْكَ هِيَ ٱلآدَابُ ٱلسَّامِيَةُ ٱلَّتِي دَعَا إِلَيْهَا ٱلقُرْآنُ".

من كتاب علي محفوظ لقسم إجازة الدعوة والإرشاد على نظام القانون رقم ٢٦/ لسنة ١٩٣٦

مَعَ ٱلأَسَفِ إِنَّ ٱلمُجَاوِرَ شنُودَا لَمْ يُجَالِفْهُ ٱلحَظُّ فِي مَعْرِفَةِ هَؤُلَاءِ ٱلفَلَاسِفَةِ أَتْبَاعِ سَيِّدِنَا ٱلمَسِيحِ عليه السلام فِي ٱلمَاضِي ٱلقَرِيبِ ، وَأَظُنُّ أَنَّ شنُودَا لَوِ ٱطَّلَعَ عَلَى أَقْوَالِهِمْ وَصَفَاءِ إِخْلَاصِهِمْ وَنَوْعِيَّةِ إِيمَانِهِمْ لَحَكَمَ عَلَيْهِمْ بِٱلرِّدَّةِ .

بيروت لبنان

دار مركز الكتابات الإسلامية

للمراسلة:

ص.ب الحمراء بيروت: 5743/113

Email:info@douroud.org

لزيارة موقعنا على الإنترنت:

www.douroud.org

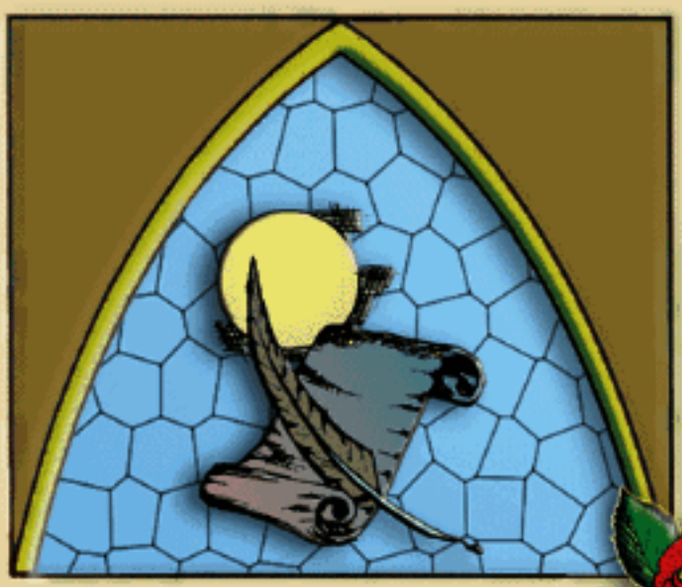

أبحاث إسلامية عقائدية فقهية